



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

قسم اللغة والأدب العربي

كلية: الآداب واللغات

دور السياق الزمني في توجيه التكرار القصصي في القرآن الكريم:

قصة موسى عليه السلام في سورتي البقرة والأعراف (نموذجاً)

مذكرة مكتملة ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص علوم اللسان

إشراف الدكتور:

*نصر الدين وهابي

إعداد الطالب:

*القديري تامة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة
د. علي كرباع	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
د. نصر الدين وهابي	مشرفاً ومقرراً	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
أ. فريد خلفاوي	عضواً مناقشاً	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

الموسم الجامعي: 1437 . 1438 هـ / 2016 . 2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى من أنار لي سبيل العلم والتعلم، وأزاحا من طريقي الأشواق

والأم

أمي وأبي.

إلى من كانوا خير سند ومعين على هذا العمل بالصبر والدعاء

ورسم الأمل

إخوتي وأخواتي.

إلى كل زملاء الدرب، وإن تناستهم الأقلام فلن ينسأهم القلب.

إلى من يجلو الكلام بذكورهم، وتعجز الألسنة والأقلام عن شكرهم،

لجميل صنعهم وعظيم قدرهم، أساتذتي الكرام.

ملخص:

البحث هو دراسة لغوية في ضوء التفسير القرآني والمناهج اللغوية النحوية والصرفية في موضوع التكرار القرآني، ومحاولة تتبع الحكمة من الاختلافات اللغوية وسياقاتها الزمنية في قصة موسى عليه السلام بين سورتي البقرة والأعراف؛ حيث عمد الباحث إلى استخراج الآيات والمواضع التي ورد فيها التشابه، ثم قصد أمهات المؤلفات المخصصة لتوجيه التشابه وصنف النماذج في جدول، كما حاول ربط ذلك بالسياق الزمني والتأويلات اللغوية من تجليات نحوية وصرفية كصيغ الأفعال، والجمع والإفراد، والتأنيث والتذكير، والذكر والحذف؛ أو ما يعرف بالإضمار مع خاصية نحوية تتعلق بالتركيب تتمثل في الوصل والفصل.

كما خلص في كل نموذج من نماذج التشابه إلى استنتاج عام حاول فيه بسط وتعليل الحكمة من التشابه ومكمن الإعجاز اللغوي والموضوعي فيه؛ هذا ما يوافق رأى شيخ الإسلام ابن تيمية أن متشابه القرآن ليس من التكرار، بل كل ما ورد في القرآن من كلمة أو صوت أو آية إلا ولها حكمة تختص بسياق وسبب نزولها ولها علاقة بالمعنى دون شك، وهذا ما ظهر من خلال تعليقات الباحث بعد بحثه في مواضع التشابه من قصة موسى عليه السلام في سورتي البقرة والأعراف.

مقدمة

لما كان البحث في علوم القرآن وما يحيط به دراية وشرفاً، ولما كان لعلوم اللغة العربية صلة متينة بتلكم العلوم الجليلة منها، كان اهتمام الباحثين باللطائف اللغوية في آيات القرآن الكريم أمراً ذا بال وأهمية ومدعاة للبحث والتقصي، سواء تعلق الأمر بالتفسير وتوجهاته، أو الفقه وأصوله، أو غير ذلك من البحث في مكامن إعجاز الذكر الحكيم وعجائبه. ومن بين القضايا التي أثارت اهتمام المفسرين واللغويين وإن لم يخوضوا فيها الخوض الوفير والبحث المستوفي قضية إعجازه من حيث التشابه اللفظي في آياته، ونزولها مختلفة في الصيغ اللغوية من موضع لآخر أو من سورة لأخرى رغم ما لها من فوائد تعين المفسر والنحوي على حد سواء، فهي حقيقة مدعاة للنظر والاهتمام.

وقد أدى عرض القصة القرآنية الواحدة في أكثر من موضع بحسب ما يقتضيه السياق والمقام من ذكرها، إلى تشابه لفظي في الآيات القرآنية على مستوى الأسماء والأفعال وحروف المعاني والتراكيب النحوية من آية لأخرى داخل السورة الواحدة ومن سورة لأخرى من سور القرآن، ومن ملاحظة الباحث تبين أن غالب التشابه كان في تغير أزمنة الفعل ماض وأمر ومضارع، وبناء للمعلوم والمجهول وكذلك التغيرات في الأدوات والروابط كالجمع والاستثناف والعطف بالفاء والواو على اختلاف المواضع، وإن هذا لكاف بالبحث من مدونة، وللباحث من موضوع.

انطلاقاً مما سبق ذكره وبيانه وفي هذا السياق، نحنا الباحث هذا النحو، بدراسة نماذج من التشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام بين موضعها في سورة البقرة وسورة الأعراف، فجاء البحث موسوماً كآتي "دور السياق الزمني في توجيه التكرار القصصي في القرآن الكريم: قصة موسى عليه السلام سورة البقرة والأعراف أنموذجاً". ساعياً بذلك الباحث لتبيين هذا التوجيه الزمني للتشابه كهدف أساسي ورئيسي من البحث.

أما عن أسباب اختيار الموضوع، فهي أسباب موضوعية لا ذاتية جعلت من الباحث يميل إليه ويعمد لدراسته، حيث تتلخص هذه الأسباب في النقاط الآتية:

- البحث في موضوع التشابه اللفظي؛ نظرا لكون هذا العلم من علوم القرآن الكريم له صلة بعلوم اللغة العربية، مما يفيد دارس اللغة في تخصص علوم اللسان.
 - البحث في تكرار القصص القرآني؛ نظرا لورود تشابه معجز في كثير من المواضع، ومنه النموذج الذي اخترناه في قصة موسى عليه السلام بين سورتي البقرة والأعراف.
 - البحث في السياق الزماني للتكرار القصصي؛ نظرا لأنه سبيل قوي يهتدي به المفسر واللغوي إلى فهم المعنى القرآني والمغزى الديني لهذا التكرار.
- وبما أنّ لكل بحث إشكاليات جوهرية يتأسس عليها مضمونه ثم تجيب عليها نتائجه، فإنّ هذا الموضوع يبحث في الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم التكرار القصصي في القرآن الكريم؟ وما هي مظاهر التشابه اللفظي فيه؟
- ما دور السياق الزماني في تفسير ما تكرر من القصة القرآنية؟ وما علاقتها باستنباط المعاني؟ وللوصول للغاية المنشودة والمقصد الأهم من هذا البحث ارتأى الباحث أن يقسّم بحثه إلى مدخل وفصلين تسبقهما مقدمة:

أما المدخل فكان موسوما ب: " أسباب النزول المفهوم والقيمة"، وقد تم فيه عرض وبسط القول في مفهوم أسباب النزول وفوائدها، وتبين بذلك ضرورة معرفتها في تفسير القرآن الكريم.

ثم يليه الفصل الأول موسوم ب " التكرار القصصي مفهومه وصوره وكتبه وعلاقته بالسياق الزماني ". وهو عبارة عن تأسيس نظري يتضمن مفهوم التكرار والقصة لغة واصطلاحا، ثم التكرار القصصي ومفاهيمه عند علماء القرآن وعلاقته بالتشابه كما تضمن مبحثا حول ما يربط بين التكرار القصصي والسياق الزماني ومحاولة الكشف عن مكن الإعجاز في هذه العلاقة وهذا ما شكل أرضية نظرية ينطلق منها الباحث ليعمد بعدها للفصل التطبيقي.

أما الفصل الثاني فقد كان عنوانه " صور التكرار والاختلاف وتفسيرها في سورتي البقرة والأعراف ". انطلاقاً من جمع المدونة وحصص النماذج التي تكون محل دراسة وتطبيق في قصة موسى بين السورتين، ثم أفراد كل نموذج بآراء المفسرين وعلماء المتشابه اللفظي ومحاولات تأويلهم والترجيح بين أقوالهم واجتهاداتهم وإن كانت وجيزة عن هذا النوع من التشابه، ثم بيان الإطار المنهجي للدراسة حيث كانت في جداول تتضمن النماذج المتقابلة يعقبها تحليل وتعليق.

ومما لا شك فيه أنّ طبيعة الموضوع هي التي تحدّد المنهج الملائم لدراسته وسبر أغواره، فإنّ الباحث سلك منهج الوصف والتحليل. فالأول لتحديد الظواهر اللغوية ووصفها كما تحدث في واقعها، والثاني للتعمق في مكانها بالتحليل والدراسة. وهذا ما كان سبباً لإنجاز فصول البحث بدءاً بالنظري إلى التطبيق، حيث جمعت المادة التي لها علاقة بالتكرار القصصي من جهة وبالسياق الزمني من جهة ثانية، وذلك قصد بناء الصرح النظري للموضوع. ثم تمّ تخريج وتوجيه نماذج من المتشابه في قصة موسى عليه السلام بين السورتين، واستخلاص علاقتها بسبب النزول فيها محالاً بذلك الباحث توخي العلمية والموضوعية قصد الوصول لأهداف بحثه.

وعن مصادر ومراجع البحث، فقد اعتمد الباحث على بعض المصادر لتبيين كثير من المفاهيم ومعرفة أصولها، كالتكرار القرآني والقصة القرآنية والتشابه اللفظي ومعرفة السياق بصفة عامة والسياق الزمني بصفة خاصة، وعلى مراجع أخرى مختلفة ومتفاوتة الأهمية من مراجع علوم القرآن كالبرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان للسيوطي، وكتب توجيه المتشابه اللفظي أهمها: الكتابين المشهورين: درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وقد شكل الكتابين مصدراً أثرى البحث بالآراء والتوجيهات. وكتب التفسير على اختلاف أنواعها كالبحر المحيط لأبي حيان، وروح المعاني للألوسي، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، والتحرير والتنوير لابن عاشور... وغيرها.

فمن هذه المصادر والمراجع السالفة الذكر وأخرى، تشكلت مادة البحث النظرية واتضحت سبله التطبيقية.

وأما الدراسات السابقة في الموضوع فأهمها:

- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: رسالة دكتوراه لصالح بن عبد الله الشثري.
- دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي، رسالة ماجستير لفهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي.
- أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني: رسالة ماجستير لتهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث.
- توجيه المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثين: رسالة دكتوراه لمحمد رجائي أحمد الجبالي.
- التعبير القرآني لفاضل صالح السامرائي .

وكل هذه الدراسات وغيرها، لم تعتمد على السياق الزماني في توجيه المتشابه اللفظي كهدف أساسي، بل تكفي أحيانا بالتوجيه اللغوي وهو ما يميز هذا البحث عن غيره من البحوث التي تناولت توجيه التشابه اللفظي في القرآن الكريم .

ومما لا شك فيه، أنّ كل بحث تتخلله صعوبات وعراقيل تعترض سبيل الباحث، وقد تمثلت صعوبات البحث هذا في النقاط الآتية:

- صعوبة هذا المبحث من مباحث التفسير لارتباطه بجميع أصول التفسير ولكونه من متشابه القرآن الذي يحتاج إلى عمق التأويل.
- ندرة المؤلفات التي اهتمت بتوجيه المتشابه، وهي مع قلتها لم تتناول جميع الآيات المتشابهة التي درستها، إضافة إلى أن بعض توجيهات هذه الكتب كانت توجيهات منقولة .

لكن بفضل الله وعونه وتوفيقه تمّ تذليل هذه العراقيل والصعوبات من طريق الباحث، ليتحول بذلك العمل من فكرة مقترحة إلى مذكرة خرجت لنور الطباعة رغم ما يعترضها من نقص يوجب الإتمام، وإيجاز يوجب التوسّع أكثر.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الوافر بعد شكر الله عزّ وجل لأستاذي الدكتور نصر الدين وهابي على ما بذله من جهد كبير فقد كان لتوجيهاته واستدراكاته أعظم الأثر في بناء هذا البحث، فلك أيها الأستاذ أفضل وأصدق الدعوات، وجزاك الله عني وعن طلاب العلم خير الجزاء.

وأخيراً فيني أرجو أن أكون قد وقّيت هذا الموضوع بعض حقه، هذا وإن عمل ابن آدم لا يخلو من الخطأ والزلل، فما كان في هذا البحث من صواب فهو من فضل الله وله الحمد أولاً وآخراً، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي، أسأل الله أن لا يجرمني أجر المجتهدين، والحمد لله رب العالمين .

مدخل

أسباب النزول المفهوم والقيمة

تمهيد:

يعد علم أسباب النزول من المباحث المهمة في علوم القرآن فهو يعين المفسر على فهم النص القرآني فهما صحيحا، دون أن يقع في التأويل الفاسد، بل إنّ بعض الآيات لا يمكن تفسيرها إذا لم يتم الوقوف على سبب نزولها، يقول العلامة ابن عاشور في تفسيره: « إنّ من أسباب النزول ما ليس المفسر بغني عن علمه، لأنّ فيها بيان مجمل، أو إيضاح خفي وموجز، ومنها ما يكون وحده تفسيرا، ومنها ما يدل المفسر على طلب الأدلة التي بها تأويل الآية أو نحو ذلك »¹، ويقول الواحدي: « إذ هي - يقصد أسباب النزول - أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها »².

ولا يقتصر معرفة سبب النزول على المفسر فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الفقيه أيضا، وذلك لما له من أهمية في استنباط وبناء الأحكام، ويظهر ذلك خاصة في مسألة مهمّة عند علماء أصول الفقه وهي: هل العبرة بعموم الصيغة أم بخصوص السبب؟ واختلفوا في ذلك.

وفي هذا المدخل سنبدأ الحديث عن مفهوم أسباب النزول مع ذكر بعض الأمثلة لتوضيحها، ثمّ ننتقل إلى فوائد هذا العلم وتظهر من خلالها أهميّة أسباب النزول وضرورة معرفتها لكل من أراد أن يفهم كتاب الله عزّ وجل.

¹ - التحرير والنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، (دط)، 1984م، 47/1.

² - أسباب النزول، الواحدي، تحقيق ودراسة: كمال بسيوي زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ط1): 1411هـ/ 1991م، ص: 10.

1- تعريف أسباب النزول :

أ - التعريف اللغوي:

عند البحث في المعاجم العربية لا نجد فيها تعريفا للمصطلح المركب " أسباب النزول"، لذا فإن المراد بالمعنى اللغوي لأسباب النزول هو معنى هذا التركيب الإضافي مفردا .

فما المقصود بأسباب ؟ وما المقصود بالنزول ؟

- " أسباب " جمع " سبب "، جاء في القاموس المحيط :« السبب : الحبل ، وما يتوصل به إلى غيره ، واعتلاق قرابة... وأسباب السماء : مراقيها أو نواحيها أو أبوابها . وقطع الله به السبب : الحياة »¹.

- وفي اللسان :«السبب هو الشيء الذي يتوصل به إلى غيره والجمع أسباب »².

- ويأتي السبب بمعنى الطريق يقال: مالي إليه سبب ؛ أي طريق .³

وورود السبب بمعنى الحبل أو الطريق هو الأصل فيه ومعناه الحقيقي، يقول الخازن في تفسيره: «وأصل السبب في اللغة الحبل الذي يُصعد به النخل، وسمي كل ما يتوصل به إلى شيء من ذريعة أو قرابة أو مودة سببا تشبيها بالحبل الذي يصعد به...»⁴.

ويقول الغزالي عند كلامه عن السبب في اصطلاح الفقهاء - :« وأصل اشتقاقه من الطريق، ومن الحبل⁵ الذي ينزح به البئر»⁶.

¹ . القاموس المحيط ، الفيروزآبادي، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار الطبع مؤسسة الرسالة، (ط8): 1426هـ/2005م، ص: 96.

² - لسان العرب، ابن منظور ، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف ، دط ، دتا ، 21/ 1910.

³ - أساس البلاغة، الرمخشري، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية- بيروت ، (ط1) : 1419هـ/1998م ، 1/ 432 .

⁴ - لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ،بيروت،(ط1): 1415هـ ، 1/101 .

⁵ - أي من السبب بمعنى الطريق، وبمعنى الحبل ، وليس هذا من الاشتقاق الذي عليه اصطلاح الصرفيين، بل هو بمعنى النقل والتجوز؛ لأن السبب هو ما يحصل الشيء عنده لا به، فالوصول إنما يكون بالسير لا بالطريق ،ولكن لا بد من الطريق، ونزح الماء بالاستقاء لا بالحبل ولكن لا بد من الحبل، فاستعار الفقهاء لفظ السبب من هذا الموضع، ينظر: المستصفي من علم الأصول، للإمام الغزالي، تح وتعليق: د. محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة - بيروت ،(ط1): 1417هـ/1997م ، 1/ 177.

⁶ - نفسه: 1/ 177.

يتبين لنا من خلال ما سبق أنّ للسبب معنيين:

✓ معنى حقيقي مادي، كدلالته على الحبل أو الطريق .

✓ معنى مجازي، كدلالته على الشيء الذي يتوصل به إلى غيره، أو الحياة، أو الباب ..

ولو تأملنا المعنيين لوجدنا أنّ السبب في كليهما يدل على (الوصلة) بجانبها المادي والمعنوي .

- "النزول" : مصدر للفعل نزل، وأصله الهبوط من علوّ إلى سفلى¹، قال ابن فارس: النون والنزاي واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط الشيء ووقوعه².

- ويأتي بمعنى الحلول، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْدَرِينَ﴾³؛ أي حل بهم⁴.

- ويستعمل النزول مجازاً في عدّة معان، فيقال: نزل به مكروهه، وأصابته نازلة من نوازل الدهر؛ أي مصيبة.

- ونزل الحاج، إذا أتوا منى، ونزل عن رأيه إذا تركه وغير ذلك⁵.

أمّا المعنى المقصود هنا والذي يوصف به نزول القرآن الكريم هو: الهبوط من أعلى إلى أسفل، وهذا بخلاف ما ذهب إليه بعض أهل الأهواء والبدع من أنّ هذا المعنى لا يليق بنزول القرآن على وجه الحقيقة؛ لاقتضائه الجسمية والمكانية والانتقال⁶.

¹ - عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، الشيخ أحمد بن يوسف عبد الدائم المعروف بالسمين الحلي، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (ط1): 1417هـ / 1996م، 163/4، 164.

² - مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، 1399هـ / 1979م، 417/5، مادة: (ن، ز، ل).

³ - سورة الصافات، الآية: 177.

⁴ - القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص: 1062، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلي، 163/4، 164.

⁵ - أساس البلاغة، الزمخشري، 2/ 264.

⁶ - ينظر: المكي والمدني في القرآن الكريم، عبد الرزاق حسن أحمد، دار ابن عفان - القاهرة، (ط1): 1420هـ / 1999م، 99/1.

ب - التعريف الاصطلاحي:

لقد اعتنى العلماء بأسباب النزول عناية فائقة ، فمنهم من أفردوا بالتصنيف والتأليف وكان أولهم علي المدني شيخ البخاري ثم الواحدي والإمام السيوطي وابن حجر* ، وغيرهم ممن أَلَّف في هذا الفن، ووضعوا في ذلك كتباً تناولت الآيات التي ورد في نزولها سبب متصل سنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أو صحابته- رضوان الله عليهم- ولم يكتب العلماء بهذا فحسب، بل راحوا يتحدثون عن أسباب النزول كعلم من علوم القرآن ، كما فعل الزركشي والشيخ الزرقاني وغيرهم، بل ومن النادر أن نجد كتاب في علوم القرآن ليس فيه حديث عن علم أسباب النزول، وهذا إن دلّ على شيء، فإنّه يدل على أهميّة هذا العلم وأنّه لا يمكن الاستغناء عنه لكونه مرتبطاً بفهم القرآن الكريم ومقصود الشارع في ما شرّعه من أحكام.

وفي ما يلي نحاول أن نعرض أهم التعريفات التي وضعها هؤلاء العلماء لأسباب النزول:

- يقول السيوطي: «سبب النزول ما نزلت الآية أيام وقوعه»¹ .

- ويقول الشيخ الزرقاني: «هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه»² .

ويعرّفه نور الدين عتر: «بأنّه ما نزلت الآية تتحدث عنه أيام وقوعه»³ .

ويبدو أن تعريف الزرقاني وما جاء به الدكتور نور الدين عتر، أدق من تعريف السيوطي لأنّه تضمّن حدوداً ترسم معالم هذا الاصطلاح بدقة⁴؛ ولأنّ نزول الآية أو الآيات تتحدث عن ذلك

* - أَلَّف كتاب اسمه: "العجاب في بيان الأسباب" ، إلاّ أنّه مات ولم يتمّه وتركه مسوّدّة، كما يقول عنه السيوطي، ينظر: الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (دط) ، 3941هـ / 1974م ، 1 / 82 .

¹ - أسباب النزول المسمّى: لباب النقول في أسباب النزول ، جلال الدين السيوطي ، مؤسسة الكتب الثقافية، (ط1): 1422هـ/2002م ، ص: 8 .

² - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني ، تح: فؤاد أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، (دط)،(دتا) 89/1 .

³ - علوم القرآن، د. نور الدين عتر، مطبعة الصباح ، دمشق، (ط1) : 1414هـ/1993م ، ص: 46 .

⁴ - ينظر: أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام، عبد الإله حوري الحوري ، (ماجستير: جامعة القاهرة) ، (ط1) : 1422هـ/

2001م ، ص: 71 .

السبب أو مبيّنة لحكمه دليل على ارتباطها به، إذ يمكن أن تحدث حادثة أو واقعة أيّام الوحي ولا ينزل في شأنها قرآن .

وفي ما يبدو لي أنّ الحديث عن الشيء يكون من ضمنه بيان حكمه، لذا فلا داعي لذكر " أو مبيّنة لحكمه" في التعريف، لهذا كان التعريف الذي أورده نور الدين عتر أكثر اختصاراً .

ومعنى التعريف أنّ حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو سؤالاً وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بالإجابة عن سؤال معيّن، سواء كان ذلك السؤال الموجه إلى النبي - عليه الصلاة والسلام- متعلّقاً بأمر ماضي وذلك كسؤال اليهود عن ذي القرنين، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ¹، أو تعلق السؤال بأمر حاضر، كقوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ² .

كما يمكن أن يكون السؤال - الموجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم- متعلّقاً بأمر مستقبل، وذلك كقول قريش: يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت الآية: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ³ ⁴ .

والحادثة قد تكون خصومة دبّت بين المسلمين كاختلاف الأوس والخزرج حتى أوشك الفريقان على القتال فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ⁵ ⁶ .

¹ - سورة الكهف ، الآية: 83.

² - سورة الإسراء، الآية: 85.

³ - سورة طه، الآية: 105 .

⁴ - مناهل العرفان ، الزرقاني، 1/ 90، ولباب النقول، السيوطي، ص: 173.

⁵ - سورة آل عمران ، الآية: 100.

⁶ - مناهل العرفان ، الزرقاني ، 1/ 89.

وقد تكون رغبة من الرغبات أو أمنية من الأمنيات وذلك كـرغبة النبي صلى الله عليه وسلم في استقبال المسجد الحرام في الصلاة بدلا من المسجد الأقصى، فنزل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ¹ 2 .

وهناك العديد من الوقائع والحوادث التي علّق عليها البيان الإلهي إمّا بتوضيحها أو بإصدار أحكام تتعلق بذلك، ومن أراد أن يستزيد في معرفتها فيرجع إلى الكتب والمصادر التي ألفت في هذا الباب ، وإمّا ذكرت منها هنا، ما يمكن أن نوضح به معنى التعريف، فقوم سبب النزول هو الواقعة أو الحادثة التي وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، واستدعت نزول الوحي، وقد تكون تلك الحادثة من النبي عليه الصلاة والسلام – كنزول سورة عبس وقصته مع ابن أمّ مكتوم – ، أو من غيره كالصحابه رضي الله عنهم، أو اليهود، أو المشركين ...³ .

والملاحظ على التعريف هو تقييده بقوله: " أيام وقوعه"^{*}، فإنه يعد شرطاً جوهرياً لبيان سبب النزول وتمييزه عن الآيات التي نزلت للإخبار بالوقائع الماضية من غير سبب⁴ ، يقول السيوطي: « والذي يتحرر في سبب النزول أنّه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحد في سورة

¹ - سورة البقرة، الآية 144.

² - أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص دراسة مقارنة بين أصول التفسير وأصول الفقه، د. عماد الدين محمد الرشيد، دار الشهاب، (ط1) 1420هـ/1999م ص: 24. ولباب النقول، السيوطي، ص: 24 .

³ - ينظر: دراسات في علوم القرآن ، د.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة فهد الوطنية – الرياض،(ط14) : 1426هـ/2005م ، ص: 150 – 151 .

^{*} - ولا يلزم أن يكون نزول الآية أو الآيات بعد الحادثة أو السؤال مباشرة، بل يصح أن يتأخر زمناً يسيراً لحكمة من الحكم، كما حدث ذلك حين سألت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين، فقال صلى الله عليه وسلم: (غدا أخبركم)، ولم يستثن (أي لم يقل إلا أن يشاء الله)، فأبطأ عليه الوحي خمسة عشر يوماً على ما رواه ابن إسحاق، وقيل: ثلاثة أيام، وقيل: أربعين يوماً، ثم نزلت أجوبة تلك الأسئلة ونزل معها قوله تعالى: { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا } [الكهف الآيتان: 23-24]، وفيها يرشد المولى عز وجل رسوله إلى أدب الاستثناء بالمشيئة .

وكذلك الآيات المتعلقة بحادثة الإفك إمّا نزلت بعد نحو شهر منها . ينظر: دراسات في علوم القرآن، فهد بن عبد الرحمن، ص: 150، ومناهل العرفان للزرقاني، 1/ 90، 91.

⁴ - علوم القرآن ، د. نور الدين عتر، ص: 46.

الفيل من أنّ سببها قصة قدوم الحبشة به فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية»¹. وقد نبّه الشيخ الزرقاني أيضا إلى ضرورة تقييد التعريف بهذا

الشرط إذ يقول: «ثم إن كلمة أيّام وقوعه في تعريف سبب النزول، قيد لا بد منه للاحتراز عن الآية

أو الآيات التي تنزل ابتداء من غير سبب، بينما هي تتحدث عن بعض الوقائع والأحوال الماضية أو المستقبلية، كبعض قصص الأنبياء السابقين وأمهم وكالحديث عن الساعة وما يتصل بها، وهو كثير في القرآن الكريم»²؛ أي وكأنّ هذا التقييد بزمن الوقوع يحدد لسبب النزول نوعا من الآيات التي ارتبطت بظرف لابس نزولها، لأنّ القرآن الكريم ليس كل ما فيه ارتبط بمثل هذا الظرف، بل إنّ أكثر ما نزل منه لم يتوقف على سبب معيّن كقصص الأنبياء وكالحديث عن الساعة ونحو ذلك لأنّها أحداث لم

تعاصر الوحي، ومن هنا يمكن أن تقسم آيات القرآن - باعتبار النزول - إلى قسمين³:

- ما نزل ابتداء من غير سبب وهو أكثر آياته .

- ما نزل وله سبب، بعد حادثة أو سؤال مثلا.

وفي عدم ارتباط معظم آيات القرآن الكريم بأسباب معينة حكمة بالغة، إذ أنّ القرآن نزل لهداية الإنسانية جمعاء إلى الطريق المستقيم، وتحقيق سعادتها في الدنيا والآخرة وهذا يتطلب ابتداء التشريعات وسنها، كإقامة الفرائض أو الحث على فعل الخير أو النهي عن المنكر...⁴

¹ - الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 1 / 116.

² - مناهل العرفان، الزرقاني، 91/1.

³ - أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، د. محمد الرشيد، ص: 27 .

⁴ - ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: 75 .

2- فوائد علم أسباب النزول وقيمته:

لا شك أنّ علم أسباب النزول له أهميّة بالغة لمن أراد علم القرآن الكريم، وذلك نظرا لما يقدمه من فوائد يحتاج إليها كل من المفسر والفقير - كما أشرت سابقا- ، وهو على عكس من ادعى أنّه لا فائدة منه لجريلانه مجرى التاريخ ، يقول الزركشي: « وأخطأ من زعم أنّه لا طائل تحته، لجريلانه مجرى التاريخ، وليس كذلك، بل له فوائد»¹.

و من أبرز الفوائد التي ذكرها العلماء لأسباب النزول ما يلي :

1- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم²:

فما من حكم سنه الله في كتابه أو على لسان نبيّه صلى الله عليه وسلم إلاّ وهو على غاية من الحكمة لما فيه من رعاية لمصلحة الأمة ، ودفع الضرر عنها، وجلب الخير والرحمة لها³ ، ومن أمثلة ذلك سبب نزول قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾⁴ ، فقد نزلت في حولة بنت ثعلبة - رضي الله عنها- حين جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتكي زوجها أوس ابن الصامت، وهي تقول: يا رسول الله أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سنّي، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهمّ إنّني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بتلك الآيات، وفيها يشرّع الله عزّ وجل الكفارة رحمة بها وبأمثالها، وصيانة للأسرة في المجتمع الإسلامي من التفكك⁵.

¹ - البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة التراث، القاهرة، (دط)، (دنا)، 22 / 1 .

² - نفسه، 22 / 1 ، الإتيان في علوم القرآن، السيوطي ، 82 / 1 ، مناهل العرفان، الزرقاني، 91/1 .

³ - ينظر : أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، د.محمد الرشيد، ص: 41 .

⁴ - سورة المجادلة، الآية: 1 .

⁵ - لباب النقول ، السيوطي، ص: 255 .

2- الوقوف على المعنى المراد من النص القرآني وإزالة الإشكال عنه¹: وذلك لتوقف فهم الآية على سبب نزولها كلياً أو جزئياً، ولما هو معلوم من ارتباط السبب بالمسبب، وفي هذا الصدد يقول الواحدي: « لا يمكن تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»². ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: « سبب النزول يعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب »³.

ونظراً لأهمية أسباب النزول في فهم المعنى المراد بالنص القرآني، ودفع الإشكال الذي يمكن أن يحدثه ظاهر النص، لأنّ القرآن الكريم ليس كل ما فيه محكماً لا يحتمل إلاّ معنى واحداً، بل فيه من هذا، وفيه من المحتمل لأكثر من معنى، وفيه من المتشابه⁴.

ومن أمثلة ما يوضح هذه الفائدة ويبيّن أثر سبب النزول في إزالة اللبس والغموض، قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁵، فقد أشكل معنى هذه الآية على مروان بن الحكم وقال: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحبّ أن يحمد بما لم يفعل معذباً، لنعدّبنّ أجمعون؟ حتى بيّن له ابن عباس أنّ الآية نزلت في أهل الكتاب حين سأهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، وأرؤه أنّهم أخبروه بما سأهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سأهم عنه⁶.

¹ - الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، 1/ 82، مناهل العرفان، الزرقاني، 1/ 91، البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 1/ 22.

² - أسباب النزول، الواحدي، ص: 10.

³ - مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، تح: د. عدنان زرزور، (ط2): 1392 هـ / 1972 م، ص: 47.

⁴ - أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، د. محمد الرشيد، ص: 48.

⁵ - سورة آل عمران، الآية: 188.

⁶ - الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، 1/ 83، مناهل العرفان، الزرقاني، 1/ 92.

3- تخصيص الحكم به عند من يرى أنّ العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ¹: ومعنى ذلك أن يرد لفظ الآية عامًا والسبب الذي نزلت فيه خاصًا، فيكون ذلك الحكم الذي تضمنته الآية خاص بمن نزلت فيه- حسب هذا الرأي- ، فمثلا حكم الظهر الذي كان سببه حادثة خولة بنت ثعلبة مع زوجها أوس ابن الصامت- التي تقدّم ذكرها- ، إنّما يكون خاصًا بهما لوحدتهما مع أنّ الصيغة وردت بلفظ العموم:(وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ ..)، أمّا حكم غيرهما فيعلم بدليل آخر قياسا أو سواه. ومعلوم أنّه لا يمكن معرفة المقصود بهذا الحكم ولا القياس عليه إلاّ إذا علم السبب وبدون معرفة السبب تصير الآية معطلة خالية من الفائدة².

وهذا ما لم تقم قرينة على تخصيص عموم الآية بسبب نزولها، فإذا قامت قرينة تقصر الحكم العام على سبب النزول الخاص فلا خلاف بين أهل العلم في التخصيص³، ومن جهة أخرى فإنّ هذا العموم إذا ورد دليل أو نص آخر يخصّصه فلا يجوز إخراج محل السبب عن حكمه، وينشأ عن هذا فائدة أخرى تُستجلى من معرفة سبب النزول وهي:

4- أنّ سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إذا ورد مخصص لها:

وبيان ذلك أنّ اللفظ قد يكون عامًا، ويقوم دليل على تخصيصه، فلا يجوز إخراج السبب من حكم الآية بالاجتهاد، للإجماع على عدم خروجه ؛ لأنّ دخول السبب قطعي وإخراجه بدليل التخصيص اجتهادي، والاجتهادي ظنيّ، ولا يجوز إخراج القطعي بالظنيّ⁴، وبمعنى آخر أنّ هذا

¹ - البرهان في علوم القرآن ، الزركشي: 1 / 22، الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، 1 / 82 ، مناهل العرفان ، الزرقاني ، 1 / 94، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، الدار السعودية للنشر، (ط7)، (دتا)، ص: 74، 75 .

² - ينظر: مناهل العرفان، الزرقاني، 1 / 94.

³ - ينظر: الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي: 1 / 85 ، مناهل العرفان، الزرقاني: 106 ، المستصفي من علم الأصول، للإمام الغزالي: 236 ، أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام، عبد الإله حوري الحوري : 80 ، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، د.محمد الرشيد، ص: 392 وما بعدها .

⁴ - دراسات في علوم القرآن، فهد بن عبد الرحمن، ص: 158 . البرهان في علوم القرآن ، الزركشي: 1 / 22.

التخصيص لا يشمل ذلك السبب وإنما يكون قاصرا على ما عداه، ولو لم نعرف سبب النزول لجاز أن يفهم أنه مما خرج بالتخصيص مع أنه لا يجوز كما ذكر¹.

وقد لا يتضح هذا إلا بإيراد مثال يقرب لنا الصورة أكثر، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾²، وسبب نزول هذه الآية حادثة الإفك المشهورة، ولفظ الآية عام بالوعيد يشمل التائب وغير التائب، لكن الآية الأخرى استثنت من تاب، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾³.

فلفظ الآية عام ثم خصص بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ، وبهذا التخصيص نخصص عموم الآية الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ...﴾ ، لكن التخصيص للآية الأولى لا يشمل سبب نزولها، وهو قذف عائشة - رضي الله عنها- وأمّهات المؤمنين، فيبقى على عمومها، وبالتالي لا تقبل توبة من قذف عائشة - رضي الله عنها- وأمّهات المؤمنين خاصة، ويكون قبول التوبة في غيرهن⁴.

5- دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر⁵:

ومعنى ذلك أنّ سبب النزول يكشف للباحث خطأ تخصيص الحكم بالأشياء التي أوردتها دون غيرها، ومن ذلك هذا المثال المشهور وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِعَيِّرٍ لَللَّهِ بِهِ﴾⁶ ،

¹ - مناهل العرفان ، الزرقاني ، 94/1.

² - سورة النور الآية :23 .

³ - النور ، الآيتان:4-5.

⁴ - دراسات في علوم القرآن، فهد بن عبد الرحمن، ص: 159.

⁵ - البرهان في علوم القرآن ، الزركشي: 1/ 23 ، الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي ، 84 /1 ، مناهل العرفان، الزرقاني، 93/1 .

⁶ - سورة الأنعام، الآية: 145 .

فالأية في ظاهرها تفيد حصر المحرمات من الأطعمة بهذه الأصناف الأربعة المذكورة فقط، وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به¹.

ولكن بالعودة إلى سبب نزول هذه الآية يتبين لنا أنّ الحصر متوهم وأنها نزلت مضادة للكفار ومناقضة لأفعالهم ، يقول السيوطي: « قال الشافعي ما معناه في معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا... ﴾: إنّ الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله وكانوا على المضادة والمحاداة جاءت الآية مناقضة لغرضهم. فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه. نازلا منزلة من يقول لك: لا تأكل اليوم حلاوة فتقول لا آكل اليوم إلا حلاوة والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة. فكأنه تعالى قال: لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ولم يقصد حل ما وراءه إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل»².

ومن هنا ندرك أنّ هذه الأصناف الأربعة التي خصتها الآية بالذكر ليس هي التي حرّمها الله عزّ وجل فقط دون غيرها، بدليل وجود نصوص أخرى قد تعدّى فيها عدد المحرّمات هذه الأشياء، كالأية التي وردت في سورة المائدة التي يقول فيها الله عز وجل: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِعَیْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِى يَوْمِ النَّاسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ... ﴾³ . وبالتالي فإنّ التخصيص الذي ورد في آية الأنعام ليس المراد منه الخصوص، وإّما المراد أعم من ذلك ولولا معرفة سبب النزول، لتوهم المتوهم أنّ ما سوى هذه الأصناف أحله الله⁴ .

¹ - أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، د.محمد الرشيد، ص: 54.

² - الإتيان في علوم القرآن، السيوطي ، 1/ 84 .

³ - سورة المائدة، الآية: 3 .

⁴ - ينظر: أسباب النزول أسانيد وأثرها في التفسير، الشيخ بن جمعة سهل، (دكتوراه)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، الموسم الجامعي: 1403هـ/ 1982م ، ص: 126 وما بعدها.

6 - معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا يشتبه بغيره: وفي ذلك تنزيل الناس منازلهم ونفي التهمة عن البريء الذي ألصق به ما هو براء منه، فالذي مدحه الله عزّ وجلّ - مثلاً - ينبغي أن نثبت له مرتبة تليق بما أنزله الله فيه من الوحي، بالمقابل يجب أن يوضع صاحب المذمة حيث وضعه الله سبحانه وتعالى، وهو ممّا يدفع التحامل والخصومة بين الناس¹.

8- تثبيت الوحي وتيسير الحفظ والفهم: في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها، وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة. كل أولئك من دواعي تقرر الأشياء وانتقاشها في الذهن، وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها في الفكر وذلك هو قانون تداعي المعاني، المقرر في علم النفس².

9- الكشف عن أسرار البلاغة في الأسلوب القرآني:

وتظهر هذه الفائدة من خلال ما بيّن لنا سبب النزول من تلاؤم أسلوب القرآن مع مقتضى حال السامعين، لأنّ النص القرآني يصور لنا تلك الواقعة أو الحادثة بأسلوب بلاغي يتناسب مع ذلك المشهد، ومن خلال هذا التصوير الدقيق للمقام يمكننا أن نتذوق بلاغته، فمثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾³، فعندما نقرأ هذه الآية يستوقفنا التشديد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكأنّه وقع في محذور مع أنّه المعصوم من ذلك، ولكن إذا عدنا إلى سبب نزول الآية- كما رواه الترمذي - يزول هذا الاستغراب، وسيظهر لنا أنّ هذا التشديد لم يكن على حقيقته، إنّما كان لنكتة بلاغية، وهي أن ينزل من يناصر الظالم ولو اجتهدا منزلة المخطئ مع أنّه غير آثم ولا عاص⁴.

¹ - ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: 72 .

² - مناهل العرفان، الزرقاني، 1/ 95 ،

³ - سورة النساء الآية: 105 .

⁴ - أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، د. محمد الرشيد، ص: 58.

3- علاقة السياق بأسباب النزول:

إنّ فهم السياق هو الأساس للوصول إلى المعنى المراد، سواء تعلّق الأمر بالسياق اللغوي الداخلي للنص الذي يركّز على بنية اللفظ مفرداً ومركباً ودلالاته، مع اعتبار سابق الكلام ولاحقه، أو تعلّق الأمر بالظروف الواقعية والملابسات المحيطة بالنص من مقام مقاله من حيث الزمان والمكان، إلى حال المخاطب والغرض الذي كان السياق لأجله، وغير ذلك مما يوصف بقرائن الحال عند الأصوليين .

ونظراً لأهميّة السياق ودوره في الكشف عن المعنى الذي سيق لأجله الكلام، فقد بيّن العلماء ضرورة مراعاة السياق، وأنّ إهماله يؤدي بالباحث إلى الخطأ، يقول ابن القيم: «السياق يرشد إلى تبين المحمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته»¹.

ويرى ابن تيميّة - رحمه الله - أنّ الدلالة تختلف في كل موضع بحسب السياق وما يحيط بذلك من قرائن لفظية أو حالية، يقول: «فإنّ الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية»².

ولئن كان تفسير القرآن بالقرآن هو أصح تفسير لكلام الله سبحانه، فإنّ السياق في النص القرآني خادم لهذا النوع من التفسير، والأداة التي تحققه، ومن ثمّ فإنّ المفسّر أهم ما يجب عليه النظر فيه، هو مراعاة السياق³.

ولفظ السياق تتعدّد مفاهيمه لاسيما إذا أطلق بمفرده، لذا فقد اختلفت عبارات الباحثين في تعريفه، فمنهم من حصر السياق بالجانب المقالي ضمن حدود السباق واللاحق، ومنهم من جعل

¹ - بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تح: علي ابن محمد العمران، دار عالم الفوائد، (دط)، (دتا)، 4 / 1314.

² - مجموع الفتاوى، ابن تيميّة، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 1416 هـ / 1995 م، 6 / 14.

³ - ينظر: الترجيح بين دلالة السياق وأسباب النزول، د. محمد أبو زيد، مجلة جامعة دمشق، المجلد: 28، العدد 3+4، 2012، دمشق، سورية، ص: 18.

السياق شاملاً عما سبق للحال أو المقام، ومنهم من يرى أنّ السياق هو مقصود المتكلم من كلامه¹، وقد لخص الدكتور ردة الله الطلحي مفهوم السياق في التراث العربي في ثلاث نقاط وهي :

- أن السياق هو الغرض، أي مقصود المتكلم في إيراد الكلام...

- أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، وهو ما يعبر عنه بالحال أو المقام .

- أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر والتحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام².

أمّا السياق القرآني فهو : " ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطب ، والمخاطب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه " ³ .

وتعدّ أسباب النزول من أهم القرائن الحالية المرتبطة بالسياق القرآني، لأنّ النص القرآني - كما وضحت سابقاً- لا يمكن فهمه بمعزل عنها ، فمعرفة الظروف والملابسات والبيئة والأحوال التي نزل فيها النص يسهم بشكل كبير في توضيح المعنى وبيان المقصود، فالسياق يختلف باختلاف تلك الظروف والأحوال، يقول السعدي موضحاً هذه العلاقة: «النظر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه»⁴ .

¹ - ينظر: ،الترجيح بين دلالة السياق وأسباب النزول، د . محمد أبو زيد ، ص: 14

² - دلالة السياق، رده الطلحي بن رده بن ضيف الله الطلحي ،مكتبة فهد الوطنية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (ط1): 1424 هـ ، ص: 50 .

³ - السياق القرآني، وأثره في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، ماجستير، جامعة أم القرى، (1429هـ / 2007م)، ص: 60 .

⁴ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الله بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، (ط1) : 1423هـ / 2002م ، 30/1 .

والعلاقة بين أسباب النزول والسياق علاقة مشتركة، فكما أنّ أسباب النزول تعين على فهم السياق وتوضيحه من خلال معرفة الظروف والملابسات وهو ما يسمّى مقتضى الحال ، فإن السياق أيضا له أهمية في بيان سبب النزول ، لاسيما إذا تعددت الأسباب ، فيعمل السياق على تحديد الأصح منها، وبالتالي يمكن أن نمثل للعلاقة القائمة بين أسباب النزول والسياق كالاتي:

السياق ← أسباب النزول ← السياق الزماني (الظروف والملابسات)

كما يمكن أن نمثل لدور السياق في تحديد سبب النزول بالمثال التالي: وهو قوله عزّ وجل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾¹.

فقد ذكر الطبري - رحمه الله - في تفسيره أنّ أهل التأويل اختلفوا فيمن عني بهذه الآية وفيمن

نزلت، فقال بعضهم : نزلت في الزبير ابن العوام وخصم له من الأنصار اختصما إلى النبي - صلى الله

عليه وسلم - في بعض الأمور ...، وقال آخرون : بل نزلت في المنافق واليهودي اللذين وصف الله

صفتها في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ

يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾² ...، قال أبو جعفر: وهذا القول أعني قول من قال: عني به

المحتكمان إلى الطاغوت اللذين وصف الله شأنهما في قوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ...)، أولى بالصواب ؛ لأنّ قوله: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ

فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) في سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ

آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) ، ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم ، فالحاق بعض ذلك ببعض - ما لم تأت

¹ - سورة النساء، الآية: 65 .

² - سورة النساء، الآية: 60 .

دلالة على انقطاعه - أولى، فإن ظنّ ظان أنّ في الذي روي عن الزبير وابن الزبير من قصته وقصة الأنصاري في شراج الحرة*، وقول من قال: في خبرهما فنزلت: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)، ما ينبئ عن انقطاع هذه الآية وقصتها من قصة ما قبلها، فإنّه غير مستحيل أن تكون الآية نزلت في قصة المحتكمين إلى الطاغوت، ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير وصاحبه الأنصاري إذ كانت الآية دالة على ذلك وإذ كان غير مستحيل كان إلحاق معنى بعض ذلك ببعض أولى، مادام الكلام متسقة معانيه على سياق واحد إلا أن تأتي دلالة على انقطاع بعض ذلك من بعض فيعدل به عن معنى ما قبله¹.

فلاحظ كيف استدل بالسياق في تحديد سبب النزول.

وخلاصة القول أنّ علم أسباب النزول أحد العلوم المهمة التي تساهم بشكل كبير في فهم النص القرآني، وتوضيح الغموض الذي يكتنف بعض الآيات، فهي بهذا أعم من أن تكون أثرا منقولاً في الكتب ومجرّد أحداث تاريخية وقعت وانقضت زمانها، ومع هذا فإنّها لا تخلو من فائدة لأنّها تفيدها في معرفة سيرة المصطفى - صلّى الله عليه وسلّم - وصحابته الكرام، فضلاً عمّا تقدّمه من فوائد يحتاج إليها المفسر والفقهاء وكل من أراد أن يفهم كتاب الله عزّ وجل.

* - الشّراج: هو مسيل الماء من الحرة إلى السهل، والحرة: موضع معروف بالمدينة، وهي أرض ذات حجارة سود نخرة أحرقت بالنار، تفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تح وتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (دط)، (دنا)، هامش رقم: 1.
¹ - نفسه: 519/8 وما بعدها.

الفصل الأول:

التكرار القصصي مفهومه وصوره وكتبه وعلاقته

بالسياق الزمني

تمهيد:

تعدّ ظاهرة التّكرار القصصي في القرآن الكريم ظاهرة واضحة ملفتة للنظر وداعية إلى كثير من البحث والتساؤل، فقد جاء قصص الأنبياء والرسل في القرآن الكريم بأسلوب ونظم بياني محكم يعجز عليه الإنس والجن، وهو ممّا يدل دلالة قاطعة على إعجازه وأتته من عند الله تعالى، ويدفع حجة المجادلين ويردّ كيد الكائدين؛ ذلك أن أسلوب القصص القرآني ذا خصائص يمتاز بها عن سائر الأساليب فله في المعنى واللفظ ألوان من التوجيه، وذلك من خلال التصرّف في اللفظ و الإتيان به على عدّة ضروب مختلفة بحسب ما يقتضيه المقام والسياق مع اتحاد المعنى العام، وهذا من الأمر الذي يصعب على أهل الفصاحة وأرباب البلاغة .

فالناظر في القصة القرآنية بعقله وبصيرته، يرى بوضوح أنّها لم تكرر عبثاً ولا حشواً، وإنّما كان ذلك التّكرار موافقاً لمقتضى الحال وذلك بمراعاة الظروف والملابسات وأحوال المخاطبين من جهة بل حتى أحوال المخاطب من كونه راضياً أو ساخطاً عن المخاطب ، ومن ثمّ فإنّ مراعاة مقتضى الحال هو الذي يملئ القدر الذي يساق من ذكر القصة واختيار نوع الألفاظ التي تعبّر عنها لتؤدي معناها على أحسن وجه، وهذا ما سنوضحه في علاقة التّكرار القصصي بالسياق الزماني .

وسنبداً الحديث في هذا الفصل عن مفهوم التكرار القصصي وآراء العلماء فيه وصوره ثم الكتب التي اهتمت بتوجيهه؛ وذلك حتى نأخذ نظرة عامة عن هذه الظاهرة الأسلوبية في القرآن الكريم .

أولاً: التكرار القصصي مفهومه وآراء العلماء فيه

1- مفهوم التكرار:

لغة : التكرار من كَرَّر: الكُرُّ الرجوعُ يقال كَرَّه كَرُّهُ كَرَّ بنفسه يتعدَّى ولا يتعدَّد، والكُرُّ مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كَرًّا وكُرورًا وتكرارًا عطف، وكَرَّ عنه رجع، وكَرَّ على العدو يَكُرُّ ورجل كَرَّار ومكَّر، وكذلك الفرس، وكَرَّر الشيء وكَرَّره أعاده مرَّة بعد أخرى، والكِرَّةُ المرَّةُ، والجمع الكَرَّات، يقال: كَرَّرْتُ عليه الحديث، وكَرَّرْتُهُ إذا رَدَّدته عليه، وكَرَّرْتُهُ عن كذا وكذا كَرَّرْتُهُ إذا رَدَّدْتَهُ والكُرُّ الرجوع عن الشيء ومنه التَّكْرارُ¹.

والتكرار: هو مصدر ثلاثي يفيد المبالغة كترداد ردّ عند سيبويه، ومصدر مزيد أصله (التكرير) قلب الياء ألفا عند الكوفيين، ويجوز كسر التاء فإنه التكرر.

وفسّر بعضهم التكرار بذكر الشيء مرّتين، وبعضهم بذكره مرّة بعد أخرى، فهو على الأول مجموعة الذكّرين، وعلى الثاني الذكر الأخير، وأيما كان لا يكون التفصيل بعد الإجمال تكريرا؛ بل هو بيان توضيح بالنسبة إلى الإجمال لا ذكر له ثانيا، فالتفصيل بالنسبة إلى الإجمال إفادة والتكرير إعادة².

وجاء في معجم اللغة: كَرَّر تَكَرَّر، مفرد تَكَرَّر مصدر كَرَّر، تَكَرَّر مغاير تَرَدَّد جناس متشابه³، مرارًا وتكرارًا لعدّة مرّات⁴.

وجاء في المصباح المنير: " كَرَّ الفارس كَرًّا من باب قتل، إذا فَرَّ للجولان ثم عاد للقتال، والجواد يصلح للكَرِّ والفَرِّ وأفناه كُرُّ الليل والنهار أي عودهما مرّة بعد أخرى، ومنه أشتق تكرير الشيء وهو إعادته مرارًا.

¹ - لسان العرب، ابن منظور، 42 / 3851 .

² - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبي البقاء الحنفي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان (دط)، (دت)، فصل التاء ص: 297 .

³ - الجناس المتشابه وهو أن تكون الألفاظ متساوية التراكيب مختلفة الوزن، ينظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنشور، ابن الأثير، تح: مصطفى جواد، المجمع العلمي، (دط)، (دت)، ص: 259 .

⁴ - معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب، (ط1): 1429هـ / 2008م، 3 / 1919.

والاسم التكرار وهو يشبه العموم من حيث التعدد؛ ويفارقه بأن العموم يتعدد فيه الحكم بتعدد أفراد الشرط لا غير والتكرار يتعدد فيه الحكم بتعدد الصفة المتعلقة بتلك الأفراد مثاله: كل من دخل فله درهم فهذا عموم بالنسبة إلى الأفراد فلا يستحق الداخل بدخوله إلا مرة واحدة ولا يتحدد بتعددده منه، وكلما دخل أحد فله درهم فهذا تكرار يتعدد بتعدد دخول كل فرد فرد، والكثرة الرجعة وزنا ومعنى¹.

وإجمالاً يمكن القول أنّ التكرار في اللغة : من الكر بمعنى الرجوع؛ وهو الإعادة مرة بعد مرة، وتكرار بكسر التاء اسم، وتكرار بفتح التاء مصدر.

اصطلاحاً:

تطرق العلماء إلى بيان معنى التكرار اصطلاحاً، ووضعوا له عدة تعريفات أسوق بعضها منها:

- يقول ابن الأثير: « أمّا التكرار فإنه دلالة اللفظ على المعنى مردداً، كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، فإنّ المعنى مردّد، واللفظ واحد»².

- وعرف أيضاً بأنه: " أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة؛ لتأكيد الوصف أو المدح أو الذمّ، أو التهويل أو الوعيد"³.

- وقال أبو هلال العسكري في الفروق: «التكرار يقع على إعادة الشيء، وعلى إعادته مرات والإعادة للمرة الواحدة، ألا ترى أنّ قول القائل: أعاد فلان كذا لا يفيد إلا إعادته مرة واحدة، وإذا قال كرر هذا كان كلامه مبهماً لم يُدرّ أعاده مرّتين أو مرات، وأيضاً فإنه لا يقال كرره مرات؛ إلاّ أن يقول ذلك عامي لا يعرف الكلام، ولهذا قالت الفقهاء الأمر لا يقتضي التكرار

¹ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس، المكتبة العلمية - بيروت، (دط)، (دت)، (كزر) 530/2 .

² - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، (دط)، 1420 هـ .345/2

³ - تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن الإصبع العدواني، تح: محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي الجمهورية العربية المتحدة، (دط)، (دت)، ص: 375 .

والنهي، يقتضي التكرار، ولم يقولوا الإعادة واستدلوا على ذلك بأنّ النهي: الكف عن المنهي، ولا يشق عنه الكف ولا حرج فاقتضى الدوام والتكرار، ولو اقتضى الأمر التكرار للحق المأمور به الضيق والتشاغل به عن أموره فاقتضى فعله مرة ولو كان ظاهر الأمر يقتضي التكرار»¹.

- كما عرّف التكرار في البديع: « بأن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى؛ والمراد بذلك التهويل والوعيد كقوله تعالى: ﴿ الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3) ﴾² أو الإنكار والتوبيخ كتكرار قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾³، أو الاستبعاد كقوله تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾⁴ أو لغرض من الأغراض⁵.

- وعرفه النقاد والدارسون بأنه تقنية أسلوبية تحدث على مستوى النص، فتشيع فيه حركة ملحوظة، تمتاز بالعدوبة والاستحباب، وهذا ما يجعله يمتاز بالفنية والجمالية المطلقة؛ إذ يتجاوز بنيته اللفظية إلى إنتاج فوائد ومرام جديدة داخل أتون العمل الفني⁶.

- ويقول ابن القيم في شأنه: « فحقيقة التكرار أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا أو يأتي بمعنى ثم يعيده، وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول»⁷.

وقد وردت جل التعريفات تدور حول إعادة الكلام مرة أخرى؛ ولكن نلاحظ أنّ منهم من أجاز فيه دون تفصيل كما في التعريف الثالث، ومنهم من خصّصه في المعنى فقط، كما في تعريف ابن الأثير، ومنهم أشار إلى تكرير اللفظ وحده كما في التعريف الثاني، ومنهم من أطال وأطنب كما في تعريف العسكري.

¹ - الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن ابن مهران العسكري، تح: محمد إبراهيم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، (دت)، ص: 39.

² - سورة القارعة، الآية: 1-3.

³ - سورة الرحمن، الآية: 13.

⁴ - سورة المومنون، الآية: 36.

⁵ - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبي البقاء، ص: 297.

⁶ - نسيج التكرار بين الجمالية والوظيفية في شعر الشهداء الجزائريين ديوان الشهيد بوشامة نموذجاً، صاحب المقال: د. عبد اللطيف حني، مجلة علم اللغة العربية وآدابها، منشورات جامعة الوادي. مطبعة منصور، العدد الرابع مارس 2012، ص: 7.

⁷ - الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، محمد ابن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تح: جماعة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/ 1988م، ص: 163.

وأرى - والله أعلم- أنّ تعريف ابن القيم الجوزية كان شاملا للتكرار بأقسامه، تكرر اللفظة بنوعيه وتكرار المعنى.

التعريف الجامع: هو أن يكرّر المتكلم اللفظة بعينها، شاملة لمعناها أو أن يكرر المعنى وحده، وذلك مرتين أو أكثر من أجل الوصول إلى فائدة جديدة أو غرض معين كالتهويل أو الوعيد أو التعظيم، أو غيرها من الأغراض .

وموضوع التكرار في القرآن الكريم موضوع لا محالة شائك في طرقه نظرا لاختلاف آراء العلماء حول وجوده في القرآن، ففريق يرى في التكرار ظاهرة ملحّة يرتكز عليها القرآن في بنيته لاسيما أنّ من وظائفه البلاغة والتأكيد على المعنى المقصود من الألفاظ المكررة. وفي المقابل نفى فريق آخر وجود التكرار في القرآن بإدعاء «عدم الفائدة من تكرر اللفظ نفسه في السياق نفسه للمعنى نفسه فحتى لو كانت الألفاظ مكررة فإنها تدل بنظرهم على معان مختلفة»¹. واستدل بعضهم بسورة الرحمن وفي هذا الشأن يقول أبو علي الجبائي: «﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾² فليس بتكرار لأنّه ذكر نعمًا بعد نعم وعقب كل نعمة من ذلك بهذا القول فكأنه قال فبأي آلاء ربكما التي ذكرتها تكذبان ثم أجرى الخطاب على هذا الحد في نعمة وعنى بكل قول غير ما عناه بالقول الأول، وإن كان اللفظ متماثلا وهذا كقول القائل لمن ينهاه عن قتل المسلم وظلمه ويزجره عن ذلك (أتقتل زيدا وأنت تعرف فضله أتقتل عمرا وأنت تعرف صلاحه)، ويكرر ذلك حسنا ولا يعد تكرارا، ولو أن أحدا عظمت نعمه على ولده وراه أحد في طريق العقوق لحسن أن يقبل عليه فتقول: أتعصيني في كذا وقد أنعمت عليك أتغضبني في كذا وقد أنعمت عليك، فيكون ذلك أبلغ في المراد حتى لو حذفه لنقص الغرض ولم يكن بمنزلة»³

وعلى الرغم من اختلاف الباحثين حول مشروعية التكرار من عدمه يبقى الغرض من الدراسة

¹ - بكري الشيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، (ط4)، 1980، ص219 .

² - سورة الرحمن، الآية:13 .

³ - حسين نصار، التكرار، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط1): 2003 م، 6-7.

كشف مزاياه وأسراره البلاغية والأسلوبية في التعبير القرآني وخاصة في القصص القرآني موطن الدراسة.

2 - مفهوم القصة القرآنية

أولاً: القصة في اللغة:

القصة: الخبر وهو القصص وقصّ عليّ خبره، يقصه قصا وقصصا أورده والقصص الخبر المقصوص بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار عليه، والقصص بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب، وتَقَصَّصَ كلامه حفظه، وتَقَصَّصَ الخبر تَتَبَعَهُ القصة والحديث¹.

جاء في تاج العروس: قصص: "قصّ أثره يقصُّه قصا وقصصًا، والقصّ إتباع الأثر، ويقال خرج فلان قصصًا في أثر فلان وقصصًا، وذلك إذا اقتص أثره، وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾²، أي تتبعي أثره، وقيل القص: تتبع الأثر شيئًا بعد شيء، والسين لغة فيه، ومنهم من خصّ في القصص تتبع الأثر بالليل، والصحيح في أي وقت كان.

وقص عليه الخبر قصصًا وقصصًا، أعلمه به، وأخبره، ومنه قصّ الرؤيا يقال: قصصتُ الرؤيا؛ أقصُّها قصصًا، وقوله تعالى: ﴿ فَازْتَدَا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾³؛ أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الخبر أي يتتبعانه⁴.

ويمكن تلخيص ما سبق ذكره من التعاريف اللغوية للقصة في ما يأتي من نقاط:

- أن مادة قصّ تفيد التتابع كما جاء ذلك صريحًا في الآيات التي أشرنا إليها.

¹ - لسان العرب ابن منظور، فصل القاف، 74/7.

² - سورة القصص، الآية: 11.

³ - سورة الكهف، الآية: 64.

⁴ - تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ط)، (د.ت)، باب قصص، 98/18.

- لا تحقق هذه المتابعة إلا عن طريق البيان اللغوي الذي يُحسِّن القصص فلا يكفي التمثيل أو مجرد السرد للأحداث أو الحركات .

قال الجوهري- رحمه الله- : « اقتصت الحديث رويته على وجهه »¹. فلا بد إذا من الصدق والأمانة في حكاية القصة بيانًا.

القصة اصطلاحاً:

إن إيضاح مفهوم القصة القرآنية في الاصطلاح مرهون ببيان كلام المفسرين المتقدمين لمفهوم القصة من القرآن الكريم، حيث نجد الإمام ابن جرير الطبري يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾²، " قصي أثر موسى؛ واتبعي أثره، يقال قصصت آثار القوم إذا اتبعت آثارهم"³.

وجاء في التفسير الكبير للرازي ا: "والقصص إتياع الخبر بعضه بعضاً، وأصله في اللغة المتابعة، قال تعالى ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾⁴؛ أي اتبعي أثره، وقال تعالى: ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾⁵، أي إتياعاً؛ وإنما سميت الحكاية قصصاً؛ لأنّ الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً، كما يقال تلا القرآن إذا قرأه لأنه؛ يتلو أي يتبع ما حفظه منه آية بعد آية⁶.

ونجد الإمام الألوسي يقول في تفسير قوله تعالى: " ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقُصَصِ ﴾⁷ أي نخبرك ونحدثك، من قصّ أثره إذا اتبعه كأن المحدث يتبع ما حدث به، وذكره شيئاً فشيئاً،

¹ - مختار الصحاح، محمد ابن أبي بكر الرازي، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت - لبنان، (ط1): 1415هـ / 3 / 1051.

² - سورة القصص، الآية: 11 .

³ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، 174/18 .

⁴ - سورة القصص، الآية: 11 .

⁵ - سورة الكهف، الآية: 64 .

⁶ - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الفخر الرازي، (د.تح)، دار الفكر، (ط1): 1401هـ / 1981م، 87/8 .

⁷ - سورة، يوسف، الآية: 03 .

والقصص إما فعل بمعنى مفعول كالنبا، والخبر، أو مصدر، سمي به المفعول كالحلف والصيد، أي نقص عليك أحسن ما نقص من الأنبياء¹

ومن خلال هذه التعريفات نجد المفسرين قد تحدثوا عن مفهوم القصة القرآنية في الاصطلاح، وإن كانوا لم يحددوا العبارة في مفهومها، حيث نجد سيد قطب يقول في شأن القصة القرآنية أنها: « وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، القرآن الكريم كتاب دعوة دينية قبل كل شيء؛ والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، شأنها في ذلك شأن الصور التي يرسمها ليوم القيامة، وللنعيم والعذاب، وشأن الأدلة التي يسوقها على البعث وعلى قدرة الله، وشأن الشرائع التي يفصلها والأمثال التي يضر بها، إلى آخر ما جاء في القرآن من موضوعات»².

والذي نلاحظه من تعريف سيد قطب للقصة القرآنية هو اعتبار هذه الأخيرة وسيلة من وسائل إبلاغ الدعوة التي جاء بها القرآن الكريم.

وأما ابن عاشور - رحمه الله - فيعطي مفهوما للقصة بقوله: « القصة هي الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصا مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم، وجمع القصة قصص بكسر القاف؛ وأما القصص بفتح القاف فاسم للخبر المقصوص، وهو مصدر سمي به المفعول، يقال قص على فلان إذا أخبره بخبر»³.

وقد أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسائل السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام⁴.

¹ - ينظر: روح المعاني، الألويسي، (د.تج)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 175/12، بتصرف

² - ينظر التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، (د.تج)، دار الشروق، القاهرة، (ط16): 1423هـ/ 2002م، ص: 143

³ - التحرير والتنوير، ابن عاشور، (د.تج)، الدار التونسية للنشر والتوزيع، (د.ط)، المقدمة السابعة، 64/1.

⁴ - القصص القرآني في منظوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (ط2): 1395هـ/ 1975م، ص: 40.

وعرفت القصة القرآنية عموماً: بأنها مجموعة من الأحداث السابقة زماناً يجبرنا الله تعالى عنها للاعتبار والاتعاظ، تتناول حادثة واحدة أو عدة حوادث تتعلق بشخصيات إنسانية أو غير إنسانية حقيقية سابقة برزت في الخير أو في الشر على غرار ما تقوم به الشخصيات الإنسانية الحالية ويكون دور هذه الشخصيات دافعا للتأثر والتأثير في الخير اقتداءً أو في الشر ابتعاداً¹.

مفهوم التكرار القصصي في القرآن الكريم:

هو أن ترد قصة نبي من الأنبياء في أكثر من موضع، وهذا التكرار ليس في هيكل القصة، وإنما يكون ملائماً للغرض؛ بمعنى أن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها وإنما يتناول بعض جزئياتها، وفقاً لما يقتضيه السياق والغرض الديني الذي سيقى له².

وتحقيقاً لهذا الغرض، فإنّ القصة الواحدة تختلف طرق عرضها وألفاظها التي تؤدّي بها، فأحياناً تأتي القصة بأسلوب موجز، وأحياناً تكون بأسلوب فيه نوع من الإطناب والتطويل، فمثلاً قصة موسى - عليه السلام - قد ذكرت في سورة الأعراف مفصلة ضمن مجموعة من قصص الأنبياء، لأنها جاءت في معرض تصوير طبيعة الكفر في نفوس البشر، وكيف يحاول الرسل الكرام بتوجيه الله وتعليمه إنقاذ البشر من هاوية الضلالة والغواية، كما تشهد بذلك مواقف الصراع بين الهدى والضلال، وبين الحق والباطل، وكل هذه المقاصد تقتضي نوعاً من التبسيط والإفاضة.

بينما وردت هذه القصة نفسها في سورة الذاريات ضمن مجموعة من قصص الأنبياء أيضاً، ولكن جاءت للتشهير بمصارع المكذبين لرسولهم، ولتصديق وعد الله في أول السورة: **إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**. فكانت تطوى تفاصيل الأحداث فيها للوصول سريعاً إلى النتيجة الحاسمة، وهي سوء عاقبة هؤلاء موطن العبرة من القصة ومركز الاهتمام فيها³.

¹ - ينظر: منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، لعبد الرحمن داود عبد الله، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2010، ص: 14.

² - ينظر: التصوير الفني في القصص القرآني، سيد قطب، دار الشروق - القاهرة، (ط1): 1408هـ/ 1988م، ص: 155.

³ - سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نفرة، الشركة التونسية للتوزيع، (دكتوراه)، جامعة الجزائر، 1971، ص: 143.

ومن هنا فالتكرار في القصة القرآنية وثيق الصلة بمنهجها القصصي إذ هو يخدم غرضين في آن واحد:

- غرضاً فنياً يتمثل في تجدد أسلوبها وإيراداً وتصويراً، والتفنن في عرضها إيجازاً وإطناباً، والتنوع في أدائها لفظاً ومعنى .

- وغرضاً نفسياً بما له من تأثير في النفوس، لأنّ المكرر ينطبع في تجاوير الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ودوافعها كما هو مقرر في علم النفس¹.

يقول علماء النفس: « إنّه متى كثر تكرار أمر تولد تيار فكري وعاطفي يتلوه ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات وهو العدوى. إذ لا يكفي لتحويل الانفعال إلى عاطفة أن يحدث مرة واحدة، ولكن لا بد لحصول ذلك أن يتكرر حدوثه. فالتكرار هو السبيل الوحيد لربط الانفعال به وتركزه حوله، إلى جانب ما يثيره من انفعالات أخرى تدخل في تركيب العاطفة² .

ولا شك أنّ تكرار القول لا يقل تأثيراً في إثارة الانفعال وتكوين العواطف من تكرار الفعل، بل إنّ التكرار في القول ممّا يدفع إلى الفعل .

ومع أنّ التكرار في الكلام العادي قد لا يسلم معه من القلق والاضطراب، إلاّ أنه في كلام المولى عز وجل جاء محكماً، ومن ذلك تكرار القصص فقد ذكر الله سبحانه وتعالى القصة في عدة مواضع ولم يستطع الملحدون والمعارضون أن يأتوا بصورة منها وظهر بذلك كمال عجزهم، يقول الباقلائي عند حديثه عن تكرار القصة في القرآن: « وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة ونُبّهوا - أي العرب - بذلك على عجزهم عن الإتيان به مبتدأً ومكرراً³ .

¹ - الإعجاز القصصي في القرآن، علي مطاوع، دار الآفاق العربية، (ط1): 2006، ص: 204 .

² - الدوافع النفسية، مصطفى فهمي، مكتبة الأسرة، (ط1)، (دتا) ص: 101 .

³ - إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، (دط)، (دتا)، ص: 93 .

والذي يقصده الباقلاني بالتفاوت هو الاختلاف في عرض القصة الواحدة بين الطول والقصر والعرض والبسط .

ويقول عبد الكريم الخطيب: فالمعروف عن التكرار أنه إذا وقع في كلام الناس نزل بالكلام عن درجة البلاغة، وأخل بمقتضيات الفصاحة وكسا الكلام برودة وسماجة¹، لكن الخطيب عقب هذه العبارة قد ذكر أنّ كل تكرار يكسو مادته برودة وسماجة، عدا القرآن فإنه من عند العليم الحكيم .

إنّ التكرار المقصود في القصص القرآني هو تكرار المعنى دون اللفظ، وما يبدو لنا مختلفا في ظاهره، فإنه في الحقيقة يدل على معنى واحد، يقول البقاعي في تفسيره: « إنّ المقصود من حكاية القصص في القرآن هي المعاني، فلا يضر اختلاف اللفظ إذا أدى جميع المعنى أو بعضه ولم يكن هناك تناقض، فإنّها كانت حين وقوعها بأوفى المعاني، ثمّ إنّ الله تعالى يعبر لنا في كل سورة يذكر القصة فيها بالألفاظ المناسبة للمعاني، وي طرح ما لا يقتضيه المقام² .

ولما كان التكرار في القصة القرآنية هو تكرار للمعنى الواحد بألفاظ وصيغ متعددة، فإنّ هذا النوع من التكرار يدخل تحت ما يسمى بالمتشابه اللفظي والذي سمّاه الزركشي في كتابه البرهان: " علم المتشابه " يقول في تعريفه: « وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة. ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام والإتيان به على ضروب، ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك، مبتدأ به ومتكررا³ .

ووافق السيوطي الزركشي في قوله: « إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة بأن تأتي في موضع واحدا مقدما وفي آخر مؤخرا.. أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها.. أو في موضع معرّفًا

¹ - إعجاز القرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، (ط1): 1974، ص: 413 .

² - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، (دط)، 1404هـ/ 1984م، 284/1 .

³ - البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 112/1 .

وفي آخر منكرًا ، أو مفردًا وفي آخر جمعًا، أو بحرف وفي آخر بحرف آخر، أو مدغما وفي آخر مفكوكًا، وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات¹.

وجدير بالذكر أن المقصود بالقصة لدى الزركشي والسيوطي الموضوع أو الخبر وغيرها، سواء أكان قصة كالمتعارف عليه من قصص القرآن، أو غير ذلك من الأمور والمسائل الواردة في كتاب الله .
ويؤيد ذلك النظر في تفصيل كل منهما، والأمثلة التي ذكروها.

ومن أبرز الحكم في ورود المتشابه اللفظي في القرآن هي الرد على أهل الزيغ والضلال الذين يشككون في القرآن الكريم ويزعمون أن المتشابه ما هو إلا يغني بعضه عن بعض فهو يرد عليهم بعكس ما يقولون وذلك بإظهاره عظمة القرآن، وبلاغته في متشابهه، وما يظهره من وجه الحكمة في كل موضع².

آراء العلماء في قضية تكرار القصص القرآني :

لقد اهتم العلماء قديما وحديثا بقضية تكرار القصص في القرآن الكريم ودافعوا عنها بكل ما أتوا من علم ومعرفة، ومن الذين نصبوا أنفسهم جنودا لكتاب الله، يجلونه ويقدمونه للناس تقديما علميا جديرا بالاهتمام والمدارسة إمام من أئمة أهل السنة وهو اللغوي ابن قتيبة حيث يقول رحمه الله : " وأما تكرار الأنبياء والقصص فإن الله تعالى أنزل القرآن نجوما في ثلاث وعشرين سنة بفرض بعد فرض ، تيسرا منه على العباد ، وتدرجا لهم إلى إكمال دينه ووعظ بعد وعظ ، تنبيها لهم من سنة الغفلة ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾³ ، ثم يستطرد ابن قتيبة في بيان حكمة تكرار القصص في القرآن الكريم فيقول : " وكانت وفود العرب ترد على رسول الله ﷺ فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا لهم ، وكان

¹ - الإتيان في علوم القرآن، السيوطي ، 3/ 339- 340 . - بتصرف -

² - دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى، دراسة نظرية تطبيقية، فهد شتوي بن عبد المعين الشتوي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، (ماجستير) 1426هـ- 2005م ، ص: 137 .

³ سورة الفرقان، الآية: 32.

يبحث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة ، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناه ومتكررة ، لوقعت قصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى قوم ، وقصة نوح إلى قوم ، وقصة لوط إلى قوم ، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع ، ويثبتها في كل قلب ، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير ، وقد أخبر الله عز وجل عن السبب الذي من أجله كرر القصص في القرآن الكريم فقال : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾¹ وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾² ، وكررت القصص دون الفروض لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل كتبه إلى كل قوم بما فرضه الله عليهم من صلاة أو صوم أو حج ، أما القصص فلم تكن ترسل إلى كل قوم³

وفهم من هذا القول أن تكرار القصص القرآني جاء منسقا مع السياق الحالي ففيه مراعاة لحال المخاطبين لأنهم لا يستطيعون أن يتلقوا النص كله دفعة واحدة فيعوده ، ويعملوا بمقتضاه وهم متفاوتون في قدرتهم على ذلك ففي التكرار ضمان لوصول المضمون إلى جميع المتلقين .

وللإمام الزركشي رأي قريب من هذا ، فبعد أن أوضح أن التكرار أسلوب من أساليب العرب ، وأن الكلام حينما يكرر ، فإنه في النفوس يقرر ، وعاب على الذين ينكرونه ، يتطرق بعدها إلى مواضع التكرار في القصص القرآني وعلى أي وجه يحمل ، ويطبق كلامه على قصة موسى عليه السلام مع فرعون كمثال لتكرار القصة في القرآن فيقول : « وإن ظن أنها لا تغاير الأخرى فقد يوجد في ألفاظها زيادة أو نقصان وتقدم أو تأخير ، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ ، فإن كل واحدة لا بد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه ، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها ، فكأن الله فرق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء ثم قسم تلك الأجزاء على تارات التكرار لتوجد متكررة فيها ، ولو

¹ سورة القصص، الآية: 51

² سورة طه، الآية: 113 ، 234

³ - ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة ، تح : أحمد صقر، مكتبة التراث، القاهرة، 1393هـ/1973م، 232/1.

جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب المتقدمة ، من انفراد كل قصة بموضع ، كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام¹ .

فالزركشي ينفي أن يكون هناك تكرار مذموم في القصص القرآني ، ولكن التكرار المحمود موجود ولا ريب ، وقد فرق فيه القرآن أحداث القصة على أجزاء ومواطن ، يحصل في كل موطن غاية تختلف عن غيرها ، وتعالج في كل موضع ما لا تعالجه في موضع آخر .

ثم ينقل لنا الزركشي ما ورد في تفسير القفال حول تكرار قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم والتي منها:

- الدلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أخبر عنها من غير تعلم؛ وذلك لا يمكن إلا بالوحي.
- تعديد النعم على بني إسرائيل، وما من الله على أسلافهم من الكرامة والفضل؛ كالنجاحة من آل فرعون، وفرق البحر لهم، وما أنزل عليهم في التيه من المن والسلوى...
- إخبار نبيه بتقديم كفرهم وخلافهم وشقاوتهم وتعنتهم على الأنبياء.
- تحذير أهل الكتاب الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من نزول العذاب بهم؛ كما حل بأسلافهم² .

والأمر لا يختلف كثيرا عند علمائنا المعاصرين أو المحدثين ، فإذا انتقلنا من الحديث عن القدامى أمثال ابن قتيبة والزركشي ، ونظرنا للقضية ذاتها عند المحدثين من العلماء نجد أن الفكر واحد ، بيد أن الأسلوب قد يختلف في عرض القضية مع اتفاق الجميع على تنزيه القرآن الكريم عن التكرار المذموم وأن القصة وإن تشابهت الألفاظ إلا أنها تقدم طرحا جديدا في كل موضع ، ولنأخذ بعض النماذج من علماء العصر الحديث والذين لم يألوا جهدا في عرض هذه القضية.

¹ البرهان في علوم القرآن، للزركشي: 27/3.

² - نفسه، ص: 28/3 .

يقول الشيخ عطية صقر رحمه الله عند معالجته لقضية التكرار في القصص القرآني خاصة : " قصص القرآن هو أحسن القصص صدقا وبلاغة قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾¹ وتتضح حكمة هذا القصص من قوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾² ، وإذا كان هناك تكرار في القرآن للقصة فلا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا :

1_ أن القرآن الكريم لم ينزل مرة واحدة حتى يعاب التكرار ، ولكنه نزل مفرقا على مدى ثلاث وعشرين سنة ، تنزل الجملة منه حسب الظروف الطارئة ، والقصة الواحدة قد تصلح لكل الظروف ، متسقة معها ، مراعاة لمقتضى الحال وذلك هو سر البلاغة التي نزل بها القرآن في أعلى درجاتها .

2_ والنظرة العابرة إلى القصة التي نزلت عدة مرات قد يفهم منها أنها متشابهة تماما ، لكن النظرة الدقيقة ترينا أن القصة في كل موضع يُركز فيها على جانب معين ، وتكون الجوانب الأخرى تابعة ومكملة ، لأن المقام يقتضى إبراز هذا الجانب ، فبينما تراها في موضع يركز فيها على جانب معين ، كان في غيرها من التوابع المكملة ، وذلك لاقتضاء المقام له أيضا ، ولذلك قد يهمل في بعضها لفظ أو يترك تعيين اسم يوجد له داع للذكر أو التعيين في مقام آخر ، ومن هنا كانت متغايرة وليست متشابهة³ .

فالشيخ يقرر وجود التكرار في القرآن الكريم لكن يدرك أن له علة وحكمة لا يمكن أن يستغنى عنه بغيره ، فالتكرار ليس عيبا ولا ذما في القرآن الكريم بل هو شاهد صدق على إعجاز القرآن الكريم ، وجمال أسلوبه .

أما الشيخ مناع القطان صاحب المباحث المشهورة في علوم القرآن فيتحدث عن القصة وتكرارها وحكمة هذا التكرار فيقول : " يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير

¹ سورة الكهف، الآية: 13.

² سورة هود، الآية: 120.

³ ينظر: كتاب القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر، د. عباس حسن تقديم الشيخ: عطية صقر ص: 43 وما بعدها .

موضع ، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن الكريم وتعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير ، والإيجاز والإطناب ، وما شابه ذلك ، ومن حكمة هذا :

1_ بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها ، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر ، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها ، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى .

2- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس ، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام.

3- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام. كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل مع أنّ القصة لا تكرر في السورة مهما كثر تكرارها .

4_ اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة ، فتذكر بعض معانيها الوافية بالعرض في مقام ، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات ، حسب اختلاف مقتضيات الأحوال " ¹.

ويقول الشيخ محمد سعيد البوطي: " وقد يحدث أن يتكرر عرض القصة نفسها ، أو عرض الجانب الواحد منها بحسب الظاهر ولكن تلك القصة أو ذلك الجانب منها ينطوي على عبر وعظات متعددة فيقتضى الغرض الديني أن يعاد ذكرها عندما تأتي مناسبة كل عبرة من عبرها ، فتلبس القصة في كل مرة من الأسلوب والإخراج التصويري ما يناسب المعنى الذي سيقى بصدد ، حتى لكأنك منها أمام قصة جديدة لم تتكرر على مسامعك ، ولم تعرض أحداثها على خاطرك من قبل ².

¹ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: 262 .

² من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمد سعيد البوطي، مؤسسة الرسالة (ط3): 1420 هـ / 1999م ص: 196.

وأعلام التفسير في العصر الحديث لم يكونوا بمنأى عن دراسة مثل هذه الظاهرة في القرآن الكريم وتسجيل ملاحظاتهم عليها .

يقول الطاهر ابن عاشور في تفسيره: " القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكه بها . من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها¹ .

إذا فكل موطن يعالج جانبا فقط من الجوانب ، وهذا يحتاج إلى إنعام نظر وحسن استقراء لباقي المواطن رابطا كل موطن بما قبله وما بعده من الآيات القرآنية.

ويستمر ابن عاشور في طرحه لهذه القضية مفندا احتمالات الخصم فيقول : " وعلى فرض أن هناك تكرار في إيراد القصة ، أليس الأسلوب في كل موطن يختلف عن الموطن الآخر وأسلوبه ؟

ثم أليس هذا إعجازا وبلاغة في أرقى صورها في القرآن ، وصدق الله " ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾²

ثم يتساءل ابن عاشور : "لماذا لم يقع الاستغناء بالقصة الواحدة في حصول المقصود منها ، وما فائدة تكرار القصة في سور كثيرة ؟

ويجيب عن هذا التساؤل فيقول : "إن القرآن هو بالخطب والمواعظ أشبه منه بالتأليف ، وفوائد القصص تجتليها المناسبات فتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه فلا يعدّ ذكرها مع غرضها تكريرا لها؛ لأنّ سبق ذكرها إنّما كان في مناسبات أخرى ، كما لا يقال للخطيب في قوم، ثمّ دعت المناسبات إلى أن وقف خطيبا في مثل مقامه الأوّل، فخطب بما تضمّنتها خطبته السابقة إنّ

¹ التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 1 / 36

² سورة النمل، الآية: 6 .

أعاد الخطبة، بل إنّه أعاد معانيها ولم يعد ألفاظ خطبته. وهذا مقام تظهر فيه مقدرة الخطباء، مع ما فيه من مقاصد أخرى منها :

أولاً : رسوخها في الأذهان بتكريرها.

ثانياً: ظهور البلاغة، فإنّ تكرير الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يتثقل على البليغ فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق مع تفنن في المعاني باختلاف طرق أدائها من مجاز أو استعارات أو كناية. وتفنن الألفاظ وتراكيبها بما تقتضيه الفصاحة وسعة البلاغة باستعمال المترادفات وتفنن المحسنات المعنوية واللفظية ونحو ذلك، كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة، فذلك وجه من وجوه الإعجاز.

ثالثاً : أن يسمع اللاحقون من المؤمنين في وقت نزول القرآن ذكر القصة التي كانت فاتتهم مماثلتها قبل إسلامهم أو في مدة مغيبهم فإن تلقي القرآن عند نزوله أوقع في النفوس من طلبه من حافظيه وهكذا أبدع ابن عاشور في توضيح وجهة النظر فيما يظن أنه تكرر في القرآن وليس كذلك¹.

كذلك لم يفت الأستاذ سيد قطب في ظلاله أن يشير إلى موضع تكرر القصة في القرآن الكريم ولو في إشارات سريعة دون استطراد أو إطناب فيقول : " يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات ، وهذه المناسبات التي يساق لها القصص من أجلها هي التي تحدد مساق القصة والحلقة التي تعرض منها ، والصورة التي تأتي عليها والطريقة التي تؤدي بها ، تنسيقاً للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه وبذلك تؤدي دورها الموضوعي وتحقق غايتها النفسية وتلقى إيقاعها المطلوب ، ويحسب الناس أن هناك تكراراً في القصص القرآني ، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة ، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة ، من ناحية

¹ الموضوع بتمامه في التحرير والتنوير لابن عاشور 68/1-69 .

القدر الذي يساق ، وطريقة الأداء في السياق وأنه حينما تكررت حلقة كان هناك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار " ¹.

أما الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى فقد تعرض لهذه الظاهرة في خواطره ورأى أن القصص في القرآن تساق فيكل مرة لعبرة من العبر، حيث يقول : " لكل قصة في القرآن عبرة أو شيء مهم يريد الحق أن يلفتنا إليه فتارة تكون لتثبيت قلب النبي والمؤمنين ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ² فالقصة في القرآن ليست لقتل الوقت ، ولكن الهدف الأسمى لها هو تثبيت ونفع الحركة الإيمانية ³.

ثم ينتقل الشيخ إلى تكرار القصة في القرآن الكريم فيقول : " والقصص في القرآن لا ترد مكررة ، وقد يأتي بعض منها في آيات وبعض منها في آيات أخرى ، ولكن اللقطة مختلفة تعطينا في كل موضع معلومة جديدة ، بحيث إنك إذا جمعت كل الآيات التي ذكرت في القرآن الكريم تجد أمامك قصة كاملة متكاملة كل آية تضيف شيئا جديدا" ⁴

ثم يطبق الشيخ هذا الكلام النظري تطبيقا عمليا على قصة من قصص القرآن الكريم تكررت كثيرا في القرآن وهي قصة موسى عليه السلام مع فرعون فيقول : " وأكبر القصص في القرآن الكريم ، قصة موسى عليه السلام ويذكرنا القرآن بها دائما لأن أحداثها تعالج قصة أسوأ البشر في التاريخ ، وفي كل مناسبة يذكرنا الله بلقطة من حياة هؤلاء واقرا قول الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ⁵ ، وفي آية أخرى يقول تعالى : ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ

¹ في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب مركز الإعلام العربي، الجزيرة، (ط4):1432/1، 27/2011.

² سورة هود، الآية: 120

³ - تفسير الشعراوي(الخواطر)، محمد متولي الشعراوي، مطابع: أخبار الدار(دط)، 1997، ص: 236/1.

⁴ - نفسه، ص: 237/1 .

⁵ سورة القصص، الآية: 7.

الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِئِّي وَلِئُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي¹ والفهم السطحي يظن هذا تكراراً، ونقول : لا فقله تعالى " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم " هذه اللقطة تدل على أن الله تعالى يعد أم موسى إعداداً إيمانياً للحدث ، ولكن عند وقوع الحدث تتغير القصة على نمط سريع ، " أن اذفيه في التابوت ... " كلام يناسب لحظة وقوع الحدث² .

وكان الأستاذ الشيخ سعيد النورسي ولع بقضية التكرار في القرآن الكريم فأبدع في عرضها بأسلوبه الأدبي المتميز. فيقول عن القرآن الكريم : « اعلم أن القرآن مؤسس لهذا الدين العظيم المتين ولأساساته ، وأساسات لهذا العالم الإسلامي ، ومقلب لاجتماعيات البشر ومحوها ومبدلها . ولا بد للمؤسسين من التكرير للتثبيت ، ومن التزديد للتأكيد ومن التكرار للتقرير والتأييد»³ .

ويؤكد هذا المعنى فيقول : " اعلم أن القرآن يبحث عن مسائل عظيمة ويدعو القلوب إلى الإيمان بها وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول إلى معرفتها ، فلا بد لتقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة من التكرار في صور مختلفة وأساليب متنوعة"⁴

ثم يعرض الشيخ لقضية التكرار في القصص القرآني بشكل خاص فيقول : " اعلم أن لكل قصة وجوهاً وأحكاماً وفوائد ومقاصد ، فتذكر في موضع لوجه ، وفي آخر لأخرى وفي سورة لمقصد وفي أخرى لآخر ، فعلى هذا لا تكرا إلا في الصورة "

فالشيخ يقرر أن التكرار فقط في الصورة ، ويزيد الأمر وضوحاً فيقول : " ومن المكررات القرآنية " قصص الأنبياء " عليهم السلام ، فالحكمة في تكرار قصة موسى عليه السلام -مثلاً- التي لها من الحكم والفوائد ما لعصاة موسى وكذا الحكمة في تكرار قصص الأنبياء إنما هي لإثبات الرسالة

¹ سورة طه، الآية: 38 ، 39 .

² - المرجع السابق: 238/1

³ - المعجزات الأحمدية لبديع الزمان الشيخ سعيد النورسي، (دط) (دتا) ص: 188.

⁴ نفسه : 188 .

الأحمدية وذلك بإظهار نبوة الأنبياء جميعهم حجة لأحقية الرسالة الأحمدية وصدقها ، حيث لا يمكن أن ينكرها إلا من ينكر نبوتهم جميعا ، فذكرها إذن دليل على الرسالة " ¹.

وهكذا يبرر النورسي بجميل تعبيراته الأدبية تكرار القصة في القرآن الكريم، ويقرر حقيقة تضافرت حولها آراء العلماء وهي أن التكرار في القرآن يختلف عنه في كلام من سواه فهو في القرآن خال من الاضطراب والقلق والتضارب ، سليم من الركافة بل هو وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، التي تحدى بها أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء.

وبهذا فقد بين لنا الشيخ أن طبيعة موضوع القرآن الكريم وغايته ومقاصده التي يسعى إلى ترسيخها في القلوب ، وتثبيتها في النفوس تستوجب إعادة ذكرها وتكرارها مرات ومرات ، بما يحقق تلك الغايات والمقاصد .

هذا ومما يؤكد أن تكرار القصص في القرآن ليس عبثا أو مصادفة ، أن هناك أنواعا من القصص في القرآن لم تتكرر وكأنها تتحدى العرب والفصحاء أن يصنعوا فيها ما صنع القرآن في المكرر ، وحيث جاء التكرار كان معجزا ، وكذا حيث لم يأت أيضا فهو معجز .

ومن القصص الذي لم يتكرر في القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام ، ولقد تكلم العلماء حول علة عدم تكراره كثيرا ومما قيل في ذلك :

- السورة فيها من تشبيب النساء بيوسف ، وفتنتهن به فناسب ذلك عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك .
- السورة اختصت بالفرج بعد الشدة بخلاف غيرها من قصص القرآن فإن مآلها إلى الوبال ، كقصة إبليس مثلا ، فخرجت بذلك عن سمت بقية القصص القرآني
- في عدم تكرارها إشارة إلى عجز العرب وكأن النبي ﷺ يقول لهم : إذا كان القرآن من تلقاء نفسي ، فافعلوا في قصة يوسف كما فعل القرآن بسائر القصص ².

¹ نفسه، ص: 196.

² ينظر: من علوم القرآن وتحليل نصوصه د. عبد القادر حسين، دار قطرى بن الفحاعة للنشر والتوزيع- الدوحة ص: 122.

هذا ومن الذين حادوا عن جادة الصواب الدكتور " محمد خلف الله " في كتابه " الفن القصصي في القرآن الكريم " فقد رأى أن عجز الفكر الإسلامي عن فهم الأسرار التي من أجلها كان التكرار في قصص القرآن يرجع إلى اعتماد المذهب التاريخي في فهمه ولو أنه أقام هذا الفهم علي أساس فني أو أدبي لما وقف موقف الحيرة ولما عد القصص القرآني من المتشابه ويرى كذلك أن العمل الفني والأدبي في القصص القرآني يتمثل في تخلص العناصر التاريخية - الأحداث والأشخاص - من معانيها التاريخية، وفي تحميل هذه العناصر بالعواطف الإنسانية أو بالمعاني الدينية والخلقية كما يجعل الأديب الفنان من شخصية تاريخية معروفة نقطة لانطلاق خياله وأفكاره أو محورا لفنه وابتكاره¹.

وعنده أن أحداث التاريخ التي وردت في هذا القصص رتبت ترتيبا عاطفيا وبنيت بناء قصد منه استثارة الهمم وتحريك النفوس فليس يعنيه من عناصر القصة أن تكون قائمة علي أساس الحق والواقع بقدر ما يعنيه أن تكون هذه العناصر مما يستهوي النفوس ويأخذ بمجامع القلوب ويسيطر علي الأفتدة والألباب وإذا حصل اختلاف بين عناصر القصة الواحدة فليس من اللازم أن يقوم علي أساس الذي وقع فعلا . وإنما يقوم علي أساس القصد الذي يرمي إليه القرآن من الصور القصصية².

يقول : «وهنا نحس أن الاختلاف القائم علي أساس الأحداث أيضا يزول فكون البشارة بالغلام مرة لسارة وأخري لإبراهيم عليه السلام لا يعتبر من الاختلاف لأن هذه قصة وتلك قصة، وكذلك غير هذا المثال من آيات القصص الذي يتغاير فيه التعبير»³.

وهو بهذا يرى أن هذا الوجه من الرأي يبطل ذلك القول الخاطئ الذي يقول به المستشرقون من تطور الشخصية في القرآن بتطور أغراض النبي ودوافعه والظروف المحيطة به والمناسبات التي تدعوه

¹ الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، سينا للنشر- القاهرة،(ط4) ص: 36 وما بعدها .

² نفسه، ص: 248 .

³ نفسه، ص: 248.

إلى بعض المواقف، ذلك التطور الذي يمثلون له بما يحدث في شخصية إبراهيم عليه السلام . لأن أساس هذا القول أن الوحدة القصصية تقوم علي وحدة الشخصية¹ .

وحتى يدفع هذا الرأي الذي يقول به المستشرقون يقول: «وهذا قول باطل يريحنا منه تقرير إن هذه الوحدة إنما هي وحدة الغرض والعبارة لا وحدة الشخص . ومن هنا تكون هذه قصة وتلك قصة وتكون أقاصيص متعددة لشخص واحد في موقف واحد لتعدد الأغراض واختلاف صور العرض باختلاف المقصد والغرض»² .

لقد أخطأ الدكتور خلف الله في فهمه هذا للتكرار في قصص القرآن الكريم وقد كان أساس خطئه أنه أخضع القرآن الكريم لمقاييس النقد الأدبي الحديث ونظر إليه من خلال دراسته أنه كتاب أدب ونسي أنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنه جمع إلى الصدق المطلق الجمال المطلق وأن ما في آيات القرآن من جمال إنما هو جمال الصدق لا جمال الصنعة وتماويل الفن .

وغني عن البيان أن المقدمة التي بني عليها الدكتور خلف الله حكمه في عدم التزام القرآن للحق والواقع في قصصه غير صحيحة، والمقدمة تتمثل في إقراره بوجود مفارقات بين ما يكرر من أحداث القصة الواحدة، وإنكاره للحقائق التاريخية الواردة في القصص القرآني كما ادعى وجود القصة الأسطورية في القرآن الكريم... وغيرها من الآراء التي فنّدها العلماء من أشهرهم " عبد الكريم الخطيب" في كتابه القصص القرآني في منطوقه ومفهومه³ .

¹ - الإعجاز القصصي في القرآن، علي مطاوع، ص: 205 .

² - المرجع السابق: 249.

³ - أسس بناء القصة من القرآن الكريم، محمد عبده دبور، (دكتوراه) بإشراف: فتحى محمد أبو عيسى، جامعة الأزهر، كلية الآداب والنقد، 1474هـ/ 1996م ، ص: 21 .

ثانيا: صور التكرار القصصي وكتبه

صور التكرار القصصي في القرآن الكريم:

إنّ الحديث عن صور التكرار القصصي في القرآن الكريم هو في الحقيقة ذكر لأنواع المتشابه اللفظي نفسه وذلك باعتبار أن التشابه اللفظي يكثر وروده في القصص القرآني ، ومن ثمّ سنقوم بذكر أهم أنواع المتشابه اللفظي التي نجد لها أمثلة تقابلها في القصص القرآني .

ومّا يجب أن نشير إليه أيضا هو أن كل محاولة لحصر صور المتشابه اللفظي إنّما هي محاولة اجتهادية ونتيجة ثمرة الاطلاع على مصنفات الأئمة في المتشابه أو حديثهم عنه في كتب التفسير .

ولبدر الدين الزركشي في كتابه: " البرهان " تقسيم للمتشابه اللفظي حيث جعله ثمانية أقسام، عني بتوجيه بعضها وترك بعضها منها دون توجيه بل اكتفى بذكرها فقط .

وفيما يلي بيان لصور المتشابه في القصص القرآني اعتمادا على استقراء ما قرأته في هذا الشأن:

1 - التقديم والتأخير:

يندرج باب التقديم والتأخير تحت علم المعاني، وهو أحد المباحث المهمّة حيث تظهر فيه بلاغة الأساليب وروعة العبارة، وتعرف به القدرات والمواهب، وتظهر من خلاله قدرة المتكلم في الفصاحة وحسن التصرف في الكلام بما يوافق الغرض المناسب، يقول الزركشي: «هو أحد أساليب البلاغة، فإنّهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق»¹.

وقد بيّن رائد البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني أهميّة التقديم والتأخير وكشف عن أسرار وأوفاه حديثا، يقول الجرجاني: «هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر

¹ - البرهان في علوم القرآن ، الزركشي: 233/3 .

لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد بسبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم شيء، وحوّل عن مكان إلى مكان¹.

ونجد علماء المتشابه اللفظي قد اهتموا بالتقديم والتأخير ودرسوه في القرآن الكريم وكشفوا عن أسراره وخباياه .

وقد جاء التقديم والتأخير في القصص القرآني على أنواع:

أ - تقديم كلمة وتأخيرها:

ومثاله ما جاء في قصة موسى مع فرعون في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾² في سورة الأعراف والشعراء، وأما في طه فقال: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾³.

وهنا مسألة يجب التنبيه عليها وهي أنّ التقديم في مثل هذا الموضع لم يكن لمجرد مراعاة الفاصلة أو ما يسمّيها بعضهم سجعا⁴، وإنما راعى في ذلك المعنى أيضا، بل إنّ المعنى هو القائد الأوّل للنّظم، فلم يجر اللفظ على المعنى لأجل النغم، يقول السامرائي: « فهو لم يختم آية الشعراء بكلمة: (هارون) وآية طه بكلمة: (موسى)، مراعاة للانسجام الموسيقي وحده، بل اقتضاه الكلام من جهة أخرى. فهو قد راعى الانسجام الموسيقي وما يقتضيه الكلام، فلم يُجْزْ موطن على آخر وهذا غاية الإعجاز ونهاية الحسن في الكلام⁵.

¹ - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (ط5): 2004، 106.

² - سورة الأعراف، الآية: 121 - 122 ، والشعراء: 47 - 48 .

³ - سورة طه، الآية: 70.

⁴ - ينظر في تفصيل المسألة: البرهان في علوم القرآن ، الزركشي: 1 / 53.

⁵ - التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، دار عمار - عمان، (ط4): 1427هـ/ 2006م، ص: 218 .

وتقول الدكتورة بنت الشاطيء في هذا : « وأما تعليل الحذف برعاية الفاصلة، فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل »¹.

ب - تقديم جملة وتأخيرها:

مثل قوله تعالى في سورة البقرة حكاية عن بني إسرائيل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾².

وفي الأعراف: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾³.

ج - تقديم وتأخير شبه الجملة:

مثل قوله تعالى في الأعراف : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾⁴.

وفي المؤمنون قال: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾⁵.

¹ - التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء، دار المعارف، (ط7)، (دتا)، 35/1.

² - سورة البقرة، الآية: 58.

³ - سورة الأعراف، الآية: 161.

⁴ - سورة الأعراف، الآية: 66.

⁵ - سورة المؤمنون، الآية: 33.

2 - الإبدال:

أ - إبدال حرف بحرف:

مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾¹ ،
وفي الأعراف ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾² .

- ومنه أيضا ما جاء في قصة لوط في الأعراف عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾³ ، وفي النمل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾⁴ .

وهذا يراعى في توجيهه دلالة الحرف، سواء كان الحرف حرف جر أو عطف، يقول الزركشي:
« والبحث عن معاني الحروف مما يحتاج إليه المفسر؛ لاختلاف مدلولها، ولهذا توزع الكلام على
حسب مواقعها، وترجح استعمالها في بعض المجال على بعض بحسب مقتضى الحال»⁵ .

ب - إبدال كلمة بكلمة :

ومثال هذا ما جاء في قصة صالح - عليه السلام - ففي الأعراف: ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁶ ، وفي هود: ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾⁷ ، وفي الشعراء :
﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾⁸ .

¹ - سورة البقرة الآية : 35 .

² - سورة الأعراف، الآية: 19 .

³ - سورة الأعراف، الآية: 82 .

⁴ - سورة النمل، الآية: 56 .

⁵ - البرهان في علوم القرآن ، الزركشي: 4 / 175 .

⁶ - سورة الأعراف، الآية: 73 .

⁷ - سورة هود، الآية: 64 .

⁸ - سورة الشعراء، الآية: 156 .

ج - إبدال فعل بفعل:

ومثاله من قصة موسى في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾¹ وقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾².

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾³، وقوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁴

د - إبدال جملة بجملة:

ومثاله قوله تعالى في الأعراف: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾⁵. وفي طه: ﴿قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلِتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾⁶.

وفي الشعراء: ﴿قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا أُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁷.

1 - سورة البقرة، الآية: 60 .

2 - سورة الأعراف، الآية: 160 .

3 - سورة النمل، الآية: 8 .

4 - سورة القصص، الآية: 30 .

5 - سورة الأعراف ، الآية: 123 .

6 - سورة طه، الآية: 71 .

7 - سورة الشعراء، الآية: 49 .

فأبدل قوله: (إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا) في الأعراف، بقوله (إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ) في سورتى طه والشعراء .

3- الحذف والذكر (الزيادة والنقصان) :

يقول عبد القاهر الجرجاني مبيناً أهمية الحذف والذكر: « هو باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر فإنك ترى ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين »¹ .

ووقع الحذف في القصص القرآني على ثلاثة أنواع :

أ - حذف الحرف وذكره:

مثاله قوله تعالى في قصة صالح : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ تَوَّحُّدًا مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنَحَّيْنَا مِنَ الْجِبَالِ الْبُيُوتَ فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾² ، وقوله: ﴿وَتَنَحَّيْنَا مِنَ الْجِبَالِ الْبُيُوتَ فَأَرَاهِينَ﴾³

ومثله أيضا في قصة لوط عند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾⁴ ، وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾⁵ .

1 - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (ط5): 2004 .

2 - سورة الأعراف، الآية: 74 .

3 - سورة الشعراء، الآية: 149 .

4 - سورة هود، الآية: 77 .

5 - سورة العنكبوت، الآية : 33 .

ب - حذف الكلمة وذكرها :

مثاله قوله تعالى في الأعراف: ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾¹ ، أما في الشعراء : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾² .

ومثله أيضا ما جاء في قصة آدم عند قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾³ ، وقوله: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾⁴ .

ج- حذف جملة وذكرها:

ومثاله ما جاء في سورة هود عند قوله تعالى : ﴿ فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾⁵ ، وقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿ فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾⁶ .

4- الجمع والإفراد:

مثاله قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾⁷ ، وفي هود: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾⁸ .

¹ - سورة الأعراف، الآية: 110 .

² - سورة الشعراء، الآية : 35 .

³ - سورة البقرة ، الآية: 35 .

⁴ - سورة الأعراف، الآية: 19 .

⁵ - سورة هود، الآية: 81 .

⁶ سورة الحجر، الآية: 65 .

⁷ - سورة الأعراف، الآية: 91 .

⁸ - سورة هود، الآية: 94 .

5- التعريف والتكبير:

ومثاله قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ﴾¹، وفي سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾².

6- الإظهار والإضمار: ويندرج تحته قسمان:

أ - وضع المظهر موضع المضمرة:

ومثاله قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾³، وقال في الأعراف: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾⁴.

فأظهر في آية البقرة فقال: (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) وأضمر في آية الأعراف: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ).

ومثله أيضا إظهار الفاعل عند قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمْوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾⁵، وإضماره في سورتي طه والشعراء: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾⁶.

1 - سورة البقرة الآية: 126 .

2 - سورة إبراهيم ، الآية: 35 .

3 - سورة البقرة، الآية: 59 .

4 - سورة الأعراف، الآية: 162 .

3 - سورة الأعراف، الآية: 124 .

4 - سورة طه ، الآية: 71، و الشعراء الآية: 49

5 - ومن أغراضه: التقرير والتمكين، مثل: قوله تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ }، (الإخلاص: 1-2)، ومنها التعظيم، كقوله تعالى: { وَأَنْتُمْوا اللَّهُ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }، (البقرة، من الآية: 282)، ومنها: الإهانة والتحقير، نحو قوله تعالى: { أُولَئِكَ جَزَبَ الشَّيْطَانُ أَلَا إِنَّ جَزَبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ }، (المجادلة: من الآية: 19)، وغيرها من الأغراض..، ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية(ط1): 1408هـ/ 1988م 1/ 274،

والأصل في الاسم أن يذكر مضمرا للاستغناء عنه بالظاهر السابق، ولكن عدل عن هذا الأصل لغرض بلاغي تحدد دلالة بالنظر إلى السياق¹، يقول الدكتور محمد أبو موسى: «أما وضع المظهر موضع المضمّر، فإنّه يشير إلى معان قد يكون بعضها من خصوص دلالة الاسم الظاهر الذي أوتر وضعه موضع المضمّر»².

ب- الاختلاف في الضمائر:

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾³، بضمير المتكلم: (فَأَخَذَتْكُمُ) ، وبضمير الغائب: (فَأَخَذَتْهُمْ) في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾⁴.

7 - الإجمال والتفصيل:

وهو أن يذكر الشيء جملا في موضع ثم يأتي تفصيله في موضع آخر، مثل قوله تعالى في البقرة: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾⁵ وفي الأعراف قال: ﴿وَوَاَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾⁶.

ومنه أيضا قوله تعالى في سورة المومنون: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ﴾⁷، وفي سورة هود:

¹ - خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، (ط7)، (دتا)، ص: 244.

² - سورة البقرة، الآية: 55.

³ - سورة البقرة، الآية: 51.

⁴ - سورة النساء، الآية: 153.

⁵ - سورة البقرة، الآية: 41.

⁶ - سورة الأعراف، الآية: 142.

⁷ - سورة المومنون، الآية: 27.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾¹ ، فقد ورد التفصيل في سورة هود: (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) ، بتحديد المؤمنين بأنهم قلة، ولم يرد في سورة المؤمنون تحديد ذلك .

8 – الإضافة وعدمها:

مثاله قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾² ، فوردت (اللعنة) غير مضافة هنا، وفي سورة ص مضافة فقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾³ .

9 – اختلاف الصيغة الصرفية : وهذا النوع تدخل تحته عدة صور منها:

أ – الفك والإدغام:

مثل ترك إدغام: (بِأَنَّا) عند قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿وَاشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾⁴ ، وإدغامها في المائة: ﴿وَاشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾⁵ .

ب – التضعيف وعدمه:

مثاله قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ..﴾⁶ ، بتضعيف الفعل: (نَجَّيْنَاكُمْ)، وفي الأعراف بعدم التضعيف: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ..﴾⁷ .

¹ – سورة هود، الآية: 40 .

² – سورة الحجر، الآية: 35 .

³ – سورة ص، الآية: 78 .

⁴ – سورة آل عمران، الآية: 52 .

⁵ – سورة المائة، الآية: 111 .

⁶ – سورة البقرة، من الآية: 49 .

⁷ – سورة الأعراف، الآية: 141 .

ومثله أيضا قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾¹، وفي الأعراف: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾² بترك التضعيف في: (أَنْزَلْنَا)، وفي سورة طه جاء الفعل مضعفاً، فقال تعالى: ﴿وَنَزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾³.

ج - المجرد والمزيد:

مثل قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾⁴، وفي الشعراء قال: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾⁵.

د - البناء للفاعل والبناء لما لم يسم فاعله:

مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾⁶، فقد جاء الفعل بالبناء إلى الفاعل، وفي الأعراف جاء بالبناء لم يسم فاعله فقال: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾⁷.

هـ - جمع السلامة وجمع التكرير:

مثل قوله تعالى: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾⁸، وقوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾⁹.

﴿⁹

¹ - سورة البقرة، من الآية: 57 .

² - سورة الأعراف، الآية: 160 .

³ - سورة طه ، من الآية: 80 .

⁴ - سورة الأعراف، الآية: 112 .

⁵ - سورة الشعراء، الآية: 37 .

⁶ - سورة البقرة، الآية: 58 .

⁷ - سورة الأعراف، الآية: 161 .

⁸ - سورة البقرة، الآية: 58 .

⁹ - سورة الأعراف، الآية: 161 .

دراسته في كتب المتشابه اللفظي:

اتجه التأليف في كتب المتشابه اللفظي إلى نوعين:

الأول: مؤلفات ظهر فيها الاختصار على جمع الآيات المتشابهات تشابها لفظيا . وهذا النوع من التأليف يتمثل فيما قام به بعض أئمة القراءات من جمع النظائر من ألفاظ القرآن التي تشتهبه على من يريد حفظ القرآن الكريم، ليتنبه لها، فيتيقن حفظها دون أي التباس بما يشابهها¹ .

يقول ابن المنادي موضحا السبب في تأليف كتب المتشابه على يد فريق من القراء: وإمّا حملهم على وضعهم إياه للقراءة. ردًا من سوء الحفظ، وحدهم كون القرآن ذا قصص. وتقديم وتأخير كثير ترداد أنبائه ومواعظه وتكرر أخبار من سلف من الأنبياء، والمهلكين من الأشقياء، يأتي بعضه بكلام متساوي الأبنية والمعاني على تفريق ذلك في آي القرآن وسوره، وقد يجيء حرف من غير هذا الضرب، فيأتي بالواو مرّة، والتبيان تارة، وأسماء متماثلة، فاستحبوا أن يجمعوا من حروف متشابه القرآن ما إذا حفظ منع من الغلط، لما وصفنا قبل وقد سبقوا إلى هذه التسمية في غير هذا المعنى² .

وهذا الباب ألفت فيه عدة مصنفات لعلّ أولها: (متشابه القرآن) لعلي بن حمزة الكسائي وهو أحد القراء السبعة، وقد أشار إلى ذلك السيوطي قال: أفرد بالتصنيف خلق أولهم فيما أحسب الكسائي، ثمّ ظهرت بعده عدة مصنفات من مثل (متشابه القرآن العظيم) لأبي الحسن ابن أبي المنادي ، (وهداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبين متشابه الكتاب) لعلي بن محمد السخاوي، وهي من أشهر المنظومات في هذا الفن وعدد أبياتها 431 بيتا، وقد عرض لها عدد كبير من الباحثين والعلماء بالشرح والتحقيق .

وكذلك منظومة: (كفاية القارئ في متشابهات القرآن الكريم) للإمام محمد هاشم الحارثي السندي، ومنظومة الديمياطي في متشابه الآي والألفاظ...، وغيرها.

¹ - ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ، الخطيب الاسكاني، تح: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (ط1): 1418 هـ ، 1 / 69

² - متشابه القرآن العظيم، لأبي الحسن أحمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي داود المنادي ، تح: عبد الله الغنيمان، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، 1414 هـ / 1999 م، 136 .

وهذه الكتب مع غيرها أشبه ما تكون بمعاجم لجمع الآيات المتشابهة من غير توجيه تلك الآيات، أو تعليل لأسباب تردها في أكثر من موضع من القرآن الكريم .

الثاني: مؤلفات اعتنت بتعليل الآيات المتشابهة في ألفاظها- والتي نحن بصدد دراستها في هذا المبحث- وهي خمسة كتب مشهورة على النحو الآتي:

أولاً: كتاب (درة التنزيل وغرّة التأويل) للخطيب الاسكاني .

ثانياً: كتاب (البرهان في متشابه القرآن) لمحمود بن حمزة الكرمانى .

ثالثاً: كتاب (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل) لابن الزبير الغرناطي .

رابعاً: كتاب (كشف المعاني في المتشابه من المثاني) لبدر الدين ابن جماعة .

خامساً: كتاب (فتح الرحمن بكشف ما يلبس من القرآن) للشيخ زكريا الأنصاري .

ويضاف إليها أيضا بعض كتب التفسير التي اهتمت بتوجيه المتشابه اللفظي مثل: تفسير مفاتيح الغيب للرازي، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، والكشاف للزمخشري، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور.

درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله

1 - التعريف بالخطيب الإسكافي¹:

الخطيب الإسكافي هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الأصبهاني الإسكافي الرازي، الأديب اللغوي، صاحب التصانيف الحسنة، وأحد أصحاب ابن عباد (ت385) وكان من أهل أصفهان وهي موطنه الأصلي، وخطيباً بالري، لُقّب بالخطيب الإسكافي نسبة إلى الأسكفة، وهي صناعة الأحذية وقيل كل صناعة، وسيرته لا يعلم عليها إلا القليل رغم منزلة الإسكافي العلمية ولعل السبب في ذلك هو ميل الإسكافي للعزلة وعدم الظهور فبذلك أغفلت بعض كتب التراجم ذكره مثل " سير أعلام النبلاء" الذي ترجم في الذهبي لعلماء دون الخطيب الإسكافي، كما يمكن القول أن ابتعاده عن الخلفاء والولاة وعدم اتصاله بهم وتقربه إليهم سبب في هذا الإغفال.

أمّا وفاته - رحمه الله - فالقول المشهور عند أصحاب التراجم أنه توفي سنة (420هـ) .

2- التعريف بالكتاب وسبب تأليفه:

عنوانه هو: (درة التنزيل وغرة التأويل)، وموضوعه: حصر الآيات المتشابهة تشابهاً لفظياً، ومعرفة الاختلافات الدقيقة فيما بينها، ثم القيام بتعليل هذه الاختلافات وتخرجها بالنظر إلى مواقعها في سور القرآن الكريم، أو في سياق الآيات ونظم السور، أو بالنظر إلى أحوال المخاطبين، أو بالنظر إلى الترتيب القرآني حسب ما في المصحف، أو حسب النزول...، أو غير ذلك من الأسباب وطرق التوجيه التي يتم بها إيضاح العلة في الاختلافات بين الآيات المتشابهة.

ويعد هذا الكتاب أو ما صنّف في علم توجيه المتشابه اللفظي، وقَعَد له، ووضع أُسُسَه، بل هو

¹ - ينظر ترجمته في: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، (ط1): 1993م، 2549/6، الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل ابن أبيك الصفدي، دار إحياء التراث العربي، (دط)، 2000م 337/3، بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، (ط1): 1384هـ/1964، 149/1 .

المصدر والأساس الذي أجمع العلماء بفضل السبق له¹، فقد رسم الخطوط العريضة لعلم توجيه المتشابه اللفظي، وسنّ منهجا اقتدى به كل من أتى بعده.

وأما عن أسباب تأليف الخطيب لكتابه الدرّة فيمكن أن نستنبطها من خطبة كتابه ونجملها في ما يلي:

- كشف غموض وأسرار تكرار الآيات ورفع اللبس عنها قال: "تدعوني دواع قوية، يبعثها نظر وروية، في الآيات المتكررة بالكلمات المتفكة والمختلفة، وحروفها المنغلقة والمنحرفة، تطلبها لعلامات ترفع لبس إشكالها، وتخص الكلمة بآياتها دون إشكالها"².
- عدم بحث هذا الموضوع من قبل العلماء المتقدمين بمثل ما أخرجته في كتاب الدرّة، فهذا أوجب عليه تأليف مصنف فيه.
- الرد على الملحدّين الطاعنين في كتاب الله تعالى، قال: "ولطعن الطاعنين ردّا، ولمسلك الملحدّين شدّا"³.

3- خصائص أسلوب الإسكافي ومنهجه في كتابه:

لقد سلك الخطيب مسلكا بديعا في تناول كتابه، فصار منهجه إماما لمن خاض غمار هذا العلم من بعده، وتتلخص خصائص أسلوبه ومنهجه فيما يلي:

- تبع الإسكافي منهج المفسرين في الالتزام بترتيب المصحف، والالتزام بترتيب الآيات داخل السورة، فبدأ بالبقرة، ثمّ تتبع آياتها- آية آية- التي تكرر لفظها في السورة ذاتها، ثم في السور المتأخرة بحسب الترتيب، فلمّا انتهى من البقرة ثنّى بآل عمران، فالنساء، فما يليها، وقد يفوته بعض الآيات في السور

¹ - أقر بذلك الكرمانى والغرناطى وابن جماعة في مقدمات كتبهم.

² - درة التنزيل، الإسكافي، 217/1.

³ - نفسه، 219/1.

المتقدمة فيستدرك على نفسه فيما يناظرها من الآيات التي تشابهها في السور المتأخرة، ويشير إلى ذلك وقد لا يشير.

- اعتمد الخطيب الإسكافي منهجي التحليل والمقارنة في تناول الآيات المتشابهات لفظاً، حيث يحلل ألفاظ الآيتين أو الآيات المتشابهات بنظرة فاحصة معجمياً، وصرفياً، ونحوياً، وبلاغياً، ثم يعقد مقارنة بين هاتين الآيتين أو الآيات كل منها في سياقها، ومنزلتها من الآية التي نزلت فيها، ومن الآيات السابقة واللاحقة بها، وأحياناً منزلها من السورة ككل، وهو حين يعقد هذه المقارنة، لا يقصد بها الحكم لصالح آية دون أخرى، وإنما يرمي إلى بيان أسرار منزل كل آية، وأنه لا يليق أن تحل إحداها محل أختها.

- اعتمد الخطيب أسلوب المناقشة ومخاطبة القارئ، كأنه عَلِمَ أثر هذا الأسلوب في الأخذ بلبّ ونفس القارئ، ومن ذلك قوله: « فاعلموا حملة الكتاب المتين... فإذا عرفتم ما نحونا إليه من سُنن الآثار أمنتم عند القراءة مَخُوفَ العِثَار، ثم تطلعون... وتحقرون... وترون»¹، وما أكثر قوله للسائل أن يسأل فيقول...

- أحياناً يعتمد على اللفظ- واللفظ وحده- معجمياً وصرفياً وتركيبياً ونحوياً وبلاغياً في بيان أسباب التفاوت بين الآيات تشابه لفظها، أي أنه في بعض المواطن يترك الخوض في المعنى، ويقف عند حد بيان الاختلافات اللفظية مبيّناً أنّ سبب هذا الاختلاف لفظي متجاهلاً الخوض في المعنى.

- يغلب على منهج الإسكافي في تناوله للمتشابه اللفظي في القرآن أن يجمع بين النظر في البناء اللفظي للآية معجمياً وصرفياً ونحوياً وبلاغياً والنظر في السياق الذي دارت فيه، وهذا هو الأكثر الغالب في منهج الإسكافي في اجتهاده في الوقوف على أسرار المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وأمثلة ذلك في الكتاب عديدة .

- لم يتناول الخطيب الحروف المقطعة أول السور بالبحث والنظر في كتابه؛ لأنه رأى أنّ هذه الحروف جديدة بأن يُفرد لها كتاب خاص، قال في آخر خطبة الكتاب: « ثم اعلموا أن الأحسن

¹ درة التنزيل، الإسكافي، 219/1 .

والأولى أن تكون المسألة الأولى من هذا الكتاب مسألة من الحروف المقطعة؛ لأن الأسئلة عليها متفرعة، لكني قد أفردت لها كتاباً مفرداً،... والأسئلة عليها تزُّوا على مائة، والأجوبة عنا تغني عن فئة، فأردت أن تكون مميز عن أخواتها، مخصصة من الآفة تخلص التمرة من نواتها¹.

- من الواضح أن الخطيب -رحمه الله- لم يرم ولم يسع إلى الإحاطة بكل مواطن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فعدد الآيات التي تناولها يدل دلالة بارزة على ذلك؛ إذ إنه لم يتناول إلا "264 آية فقط كأصول من غير أن يلحق بها في العَدِّ ما يشبها من الآيات" وهذا قليل بالمقارنة مع مواطن التشابه اللفظي في القرآن التي تقترب من ألفي موضع

أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان.

1- التعريف بالإمام الكرمانى²: هو محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، النحوي، تاج القراء، وأحد العلماء الفقهاء النبلاء، صاحب التصانيف والفضل، كان رحمه الله آية في الفهم، وحسن الاستنباط، لم يفارق وطنه كرمان، ولا رحل عنها، وكان في حدود الخمسمائة، كما يقول عنه ياقوت الحموي في معجم الأدباء.

أمّا آثاره: فإنّ من يتأمل ما ألفه الكرمانى يلحظ أنّه التزم منهج التخصص الدقيق، فلا نجد من بين مؤلفاته إلا ما هو متصل بعلوم القرآن الكريم، أمّا اهتمامه بالنحو فلصلته الوثيقة بالقراءات، ومن بين مؤلفاته التي ذكرها المترجمون: البرهان في متشابه القرآن، غرائب التفسير وعجائب التأويل، لباب التفاسير، الهداية في شرح غاية ابن مهران في القراءات، النحو والصرف، الإفادة في النحو...

¹ - الإسكافي، المرجع السابق، 220/1.

² - ينظر ترجمته في : معجم الأدباء، الحموي، 488/5-489، وبغية الوعاة، للسيوطي، 277/2، والأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، (ط15): 2002، 168 /7، ومقدمة تحقيق: البرهان في توجيه متشابه القرآن، الكرمانى، تح: عبد القادر أحمد عطا دار الفضيلة (دط) ص:15

أمّا وفاته فلا تُعلم أيضًا، كما لم تُعلم ولادته ونشأته، وأغلب المصادر أخذت بعبارة ياقوت الحموي في معجمه، لأنّه أقرب إلى عصر الكرمانى حيث أخبر أنّه توفي بعد الخمسمائة من الهجرة النبوية¹.

وعلى صفحة الغلاف الخارجى لكتابه الذى حققه عبد القادر عطا أنّه توفي نحو 505هـ، ويبدو جليًا أنّ الكرمانى - رحمه الله - قد بلغ مبلغًا عظيمًا من العلم، رفعه فوق أقرانه الذين ارتضوا أن يلقب دوّهم بـ (تاج القراء)، وأنّ شهرته امتدت زمنًا بعد وفاته، أمّا كتابه (البرهان) فكفى به دليلًا على علمه وفضله.

2- التعريف بالكتاب وسبب تأليفه:

يعد كتاب (البرهان) في توجيه متشابه القرآن لما فيه الحجة والبيان) الكتاب الثانى في توجيه المتشابه اللفظى فلم يسبقه فى ذلك إلا الإسكافى - رحمه الله - فكان كتابه امتداد لكتاب درة التنزيل وغرة التأويل، لأنّ الكرمانى يروى كتاب الدرّة إلى مؤلفه، فقد ذكر ذلك فى مقدمة الكتاب، وتأثر به هو السبب الرئيس الذى دفعه لتأليف كتاب البرهان ولهذا فإنّه أخذ منهجه رغم بعض الاختلافات بينهما.

ومن الأسباب أيضًا ما ذكره الكرمانى فى مقدمة كتابه قائلا: « ولكنى أفردت هذا الكتاب لبيان لبيان ما تشابه منه، فإنّ الأئمة رحمهم الله تعالى قد شرعوا فى تصنيفه واقتصرنا على ذكر الآية ونظيرتها، ولم يشغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها وهو المشكل الذى لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لآدائه»².

وقد صرّح الكرمانى بالموضوع الذى يتناوله كتابه البرهان فقال: « فإنّ هذا الكتاب أذكر فيه الآيات المتشابهة التى تكررت فى القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع فى بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو

¹ - ينظر معجم الأدباء: 5/ 489 .

² - نفسه، ص: 64 .

تأخير أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان...»¹

3- خصائص أسلوب الكرمانى ومنهجه فى كتابه:

وقد اجتهدتُ فى النظر والبحث والتأمل فى كتاب [البرهان] لاستخلاص خصائص أسلوب الكرمانى ومنهجه فى كتابه فوفقت على ما يلى:

- سلك رحمه الله مسلك المفسرين فى تناولهم لسور القرآن حسب ترتيبها فى المصحف كما فعل الإسكافى، حيث تناول الآي آية آية حسب ورودها فى السورة، فبدأ بالبقرة وتتبع الآيات التى لها نظائر مشابهة لها لفظا، فيعرض للآية الأم، ثم ينظر فيما شابهها فى السورة ذاتها، ثم فى السور الأخرى بحسب ترتيبها، حتى إذا ما انتهى من البقرة انتقل إلى آل عمران فما بعدها، وهذا الأمر كما سبق القول مأخوذ من طريقة الإسكافى، إلا أنّ جهد الكرمانى أدق فى جمع الآيات المتشابهة، ويلحظ ذلك من إطلع على الكتابين وعقد بينهما مقارنة.

- أخذ الكرمانى بمنهج الإيجاز الشديد، والاختصار الدقيق فى توجيه الآيات المتشابهة، فأسلوبه أشبه بأسلوب البرقيات، مختصر ولكنه واضح فى معظمه، وهو فى هذا قد أوتي ملكة أداء المعنى بأخصر عبارة ممكنة، وهذا يدل على تمكنه من اللغة.

- ابتكر الكرمانى منهجا جديدا كان هو الغالب فى تناول مسائل الآيات المتشابهات، فلم يتناول الآية الأم ونظيراتها المشابهة لها ككل متكامل بل تناولها مقطعا مقطعا، أو جزئية جزئية، فكان منهجه التجزئى، فجعل لكل مقطع من الآية مسألة، لهذا السبب كثرت مسائل الكرمانى فى كتابه.

- استدرك الكرمانى على الخطيب الكثير من مواطن المتشابه اللفظى التى لم يقف عليها الخطيب، حتى ليكاد لم يترك سورة دون أن يقف فيها على مواطن المتشابه.

¹ - البرهان، الكرمانى، ص: 63 .

- مثلما كان من الخطيب الإسكافي- ولعلّه غفلة أو سهو- فقد يترك أو يغفل عن آية في سورة متقدمة ثم يتناولها مع الآية أو الآيات التي شابهتها في سورة متأخرة، ومن ذلك المسألة رقم 487 من سورة (ق) في قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ (ق 39)، وفي طه ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ (طه 130)؛ لأنّ في هذه السورة راعى الفواصل، وفي طه راعى القياس، لأنّ الغروب للشمس كما أنّ الطلوع لها¹.
- في أكثر من مسألة رأى تساوي لفظتين في معنيهما، رغم اختلاف مبنى اللفظتين، من ذلك: (تبع) و(اتبع) في المسألة الثالثة عشر، و(نجى) و(أنجى) في المسألة رقم 360.
- ولا أدري كيف اتفق له ذلك؟! فكيف ولماذا اختلفت المباني إن كان المعنى واحدا؟!
- إذا كانت الآية قد سبق توجيه ما فيها من المتشابه في موضع آخر، أشار إلى ذلك بقوله (قد سبق في سورة كذا، ويسمى السورة، أو يقول قد سبق ولا يسمى السورة وقد قال هذا التعبير مراراً عديدة في كتابه².

ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل.

1-التعريف بابن الزبير الغرناطي³:

هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، يكتب بأبي جعفر، وكذلك بان الزبير نسبة إلى أحد أجداده، وبالتقفي نسبة إلى قبيلة ثقيف، وأما الغرناطي نسبة إلى غرناطة التي استقر بها .

وقد ولد ببلدة جيّان بالأندلس عام 627 هـ، ونشأ في بيئة غنية كان لها الأثر في إعانته على طلب العلم، وانتقل عن مسقط رأسه وهو في سن البلوغ إلى غرناطة حيث نشأ وترعرع وطلب العلم،

¹ - البرهان، الكرمانى، ص: 229

² - ينظر: البرهان، 152، 153، 156، 155، 192...

³ - ينظر ترجمته في بغية الوعاة: 291/1، والأعلام: 86/1، ومعجم المؤلفين: 138/1، وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، ابن الزبير الغرناطي، تح: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي(ط1) 1403هـ/1903م (مقدمة التحقيق)

فبلغ مكانة علمية رفيعة وبرز في علوم التفسير والحديث والقراءات والنحو والتاريخ. وتولى ابن الزبير الغرناطي التدريس والقضاء والإمامة والخطابة بغرناطة.

وأما عن شيوخه فقد عرف ابن الزبير بكثرة الشيوخ الذين طلب العلم منهم حتى قيل إن عددهم قد وصل إلى الستين شيخاً، وما ذلك إلا لحرصه الشديد على عنهم وأما تلاميذه فلا يحصون وما ذلك إلا لغزارة علمه وإبداعه .

توفي -رحمه الله- في الثامن من شهر ربيع الأول عام ثمان وسبعمائة للهجرة عن إحدى عن إحدى وثمانين سنة.

2- التعريف بالكتاب وسبب تأليفه:

الغرض الأساس من تأليف ابن الزبير لملاك التأويل ظاهر في عنوان الكتاب وهو قوله: " ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، أي أن هذا الكتاب سيقطع على ذوي الإلحاد والتعطيل تعلقهم بالآيات المتشابهة للطعن في كتاب الله والنيل منه ويوضح هذا بقوله: «وإنما كلامنا معتمد فيه القطع بذوي الزيغ والارتياب ممن يتعلق بما تشابه منه طعنا في الدين، وإتباعا لسبيل الملحدين وشأن هؤلاء التعلق بأدنى احتمال غير تسليم لما وراء ذلك»¹ .

وقد زاد في دفعه للتأليف ندرة ما أُلّف في هذا الموضوع المهم، يقول: « وإن مما حرك إلى هذا الغرض.. أنه باب لم يقرعه ممن تقدم وسلف، ومن حذا حذوهم ممن أتى بعدهم وخلف؛ أحد فيما علمته على توالي الأعصار والمدد.. إلى أن ورد على كتاب لبعض المعتنين من جلة المشاركة- نفعه الله- سماه بكتاب درة التنزيل وغرة التأويل...»² .

ويعد كتاب ملاك التأويل المصدر الأول للباحثين في علم المتشابه اللفظي، وقد حظي بهذه المكانة لما فيه من بسط وبيان وتوضيح لدقائق القرآن وهو يقع في جزأين وقد طبع بعدة تحقیقات.

¹ - ملاك التأويل، ابن الزبير، 242/1.

² - نفسه، 145/1 .

3- خصائص أسلوب ابن الزبير ومنهجه في كتابه:

- سلك ابن الزبير مسلك الإسكافي في خطته ومنهجه في تناول المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ؛ قال الغرناطي مصدقا على قول الإسكافي أنه أول من قرع باب هذا الفن « صدق -رحمه الله- وأحسن فيها سلك وسن وحق لنا به - لإحسانه- أن نقتدي به ونستن»¹ ، فقد تابع منهج المفسرين في الالتزام بترتيب السور في المصحف والالتزام بترتيب الآيات داخل السورة، فبدأ بالفاتحة ثم بالبقرة وما يليها.

- تناول ابن الزبير بالتوجيه الآيات التي تناولها الإسكافي، واستدرك عليه ما أغفله ورمز إلى الآيات التي لم يذكرها الخطيب الإسكافي برمز [غ] للدلالة على أن هذا الموضوع من مغفلات الدرّة.
- عند توجيهه للآيات بيدي ابن الزبير رأيه أولا قبل أن يعرض لرأي أو توجيه الإسكافي.
- لا يعيد ابن الزبير ما تحدث عنه في الآيات الأخرى المشابهة للآية الأم في السور الأخرى، بل إنّه يشير إلى أنه سبق الحديث عنها كما فعل الكرمانلي في البرهان، فنراه في بعض سور القرآن لا يذكر فيها شيئا من المتشابه مع وجوده إلا أنه سبق أن تحدث عنه في سورة سابقة.

- جعل ابن الزبير السياق عمدة في تأويل المتشابه اللفظي

- الإسهاب في الاستدلال والتفصيل وكثرة الاستشهاد بالحديث والأثر لتدعيم رأيه.

- اعتماد أسلوب المناقشة والحوار مع القارئ مقتديا بالإسكافي في الدرّة.

- اعتمد ابن الزبير منهجي التحليل والمقارنة في تناول الآيات المتشابهات لفظا.

وكل هذه الميزات والخصائص تجعل كتاب ملاك التأويل يكسب المكانة من بين كتب المتشابه اللفظي.

¹ - ملاك التأويل، ابن الزبير، 146/1 .

كشف المعاني في المتشابه من المثاني:

1- التعريف بابن جماعة:

هو أبو عبد الله بدر الدين محمد إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي،

عرفت أسرته ببني جماعة نسبة إلى ثلاثة من الآباء والأجداد ينتهي نسبهم إلى "مالك ابن كنانة" ولد ابن جماعة سنة 639 هـ في حماة بسوريا، نشأ في أسرة عرفت بالعلم والدين، ولما بلغ رحل ليطلب العلم فانتقل إلى دمشق، وإلى القدس الشريف، ثم إلى مصر، كما زار مكة المكرمة، فكثرت شيوخه، وأخذ علماً كثيراً في الحديث، وفي الفقه والتفسير، وتولى رحمه الله منصب القضاء في القدس ثم في مصر والشام لمدة أربعين سنة، كما كان خطيباً فيها وتولى التدريس في مساجد دمشق والقاهرة أكثر من ستين سنة حتى وافته المنية سنة ثلاثة وثلاثين وسبعمائة من الهجرة، بعد تجاوز التسعين من عمره قضاهما في خدمة دينه، وجاد فيها بالكثير من المؤلفات¹.

2- التعريف بالكتاب وسبب تأليفه:

موضوع الكتاب واضح من عنوانه والذي يفيد الكشف عن الاختلافات بين الآيات المتشابهة في القرآن الكريم وقد صرح بذلك في مقدمة كتابه².

وأما عن سبب تأليفه فقد ذكر أنه جاء بناء على ما ورد من أسئلة في دروسه التي عقدها عن سبب الاختلاف بين تلك الآيات، كما أوضح أن كثيراً منها لم يذكر في كتب التفسير، فجاء هذا الكتاب ليوضح ما خفي من ذلك، يقول رحمه الله: «... وربما لهج بعض فضلاء الحاضرين بمسائل حسنة عربية، وسأل عن مناسبات ألفاظها لمعانيها العجيبة، مما لم يذكر بعضه أو أكثره في كتب التفسير المشهورة، ولا أملت به في أسفارها المسطورة، من اختلاف معان مكرر... فتحل تلك الأسئلة

¹ - ينظر ترجمته في معجم المؤلفين 201/8 . وكشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين ابن جماعة، تح: عبد الجواد خلف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1403هـ/1983م (مقدمة التحقيق) .

² - كشف المعاني، ابن جماعة، 79-80.

بما يفتح الله تعالى به إما منقول أو غير منقول. وقد استخرت الله تعالى في ذكر أجوبة ما على خاطر منه باختصار لا غنى لفهمه عنه، وسميته: كشف المعاني في المتشابه من المثاني¹.

خصائص أسلوب ابن جماعة ومنهجه في كتابه:

- سلك مسلك من سبقه في ترتيب الآيات على وفق ترتيب المصحف.
- التزم ابن جماعة الإيجاز الشديد في توجيه مسائل المتشابه اللفظي، لكنه كان بارعا في إيجازه، فرغم شدة الإيجاز إلا أن التأمل لكلامه القليل يجد أنه استوفى القضية حقها دون أن يخل، كما أنه رغم إيجازه فإن أسلوبه واضح، وأفكاره في تناول القارئ العادي، فلا نجد التعقيد ولا الغموض اللذين وقع فيهما الكرمانى بسبب لجوئه إلى الإيجاز.
- لم يتناول ابن جماعة الآية ونظيراتها المشابهة لها ككل متكامل، بل إن الغالب أنه تناولها مقطعا مقطعا، أو جزئية جزئية، فلم يعرض الآية الأم ثم يعرض مسائله ثم يوجهها مسألة مسألة، فذاك منهج كان منهج الإسكافي والغرناطي، فتركه واختار منهج الكرمانى منهج تقطيع الآيات المتشابهات إلى مقاطع قصيرة يتناول في كل مقطع مسألة وحيدة؛ لذلك كثرت مسائله في الكتاب.
- لم يعتمد ابن جماعة أسلوب الخطاب والمناقشة الذي اعتمده الإسكافي ثم الغرناطي لكنه اعتمد أسلوب عرض المسألة في أسلوب خبري ثم يتناول توجيهها .
- اعتمد ابن جماعة في تأويله وتوجيهه لآيات المتشابه اللفظي على اللغة والنحو والسياق والتدبر والنظر فيما ترمي إليه الآيات.
- لم ينقل ابن جماعة عن غيره إلا قليلا، وإن نقل فإنه لا يعزو نقله إلى من نقل عنه، إلا أنه كان عمدته التأمل والنظر في الآيات بنفسه.

¹ - ، ابن جماعة، المرجع السابق، 80 .

فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن

1- التعريف بأبي يحيى الأنصاري:

هو شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي، ولد في قرية (سنيكة) في محافظة الشرقية بمصر سنة (ثلاثة أو أربع أو ست) وعشرين وثمانئة من الهجرة أخذ أبو يحيى العلم عن علماء كثر، فدرس الفقه والأصول والتفسير واللغة والنحو والمنطق، وكذلك أثره في كثير مصنفاة .

تولى أبو يحيى التدريس في العديد من المدارس وتولى مشيخة الصوفية ونظارة الأوقاف والخطابة كما رقيي منصب قاضي القضاة.

توفي أبو يحيى - رحمه الله - في الرابع من ذي الحجة سنة 925هـ، وقيل سنة 926¹.

2- التعريف بالكتاب وسبب تأليفه:

لعل التأثر بالسابقين من علماء توجيه المتشابه اللفظي في القرآن هو أبرز ملامح كتاب [فتح الرحمن] وقد صرح بذلك الأنصاري في مقدمة كتابه قال: « جمعته من كلام العلماء المحققين، ما فتح الله به من فيض فضله المتين، وسميته بـ " فتحُ الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن »².

ويعد هذا الكتاب - كما أشرت - اختصارا لكتاب البرهان للكرماني، فكان ينقل نصه بأكمله كما أفاد من ابن جماعة في مواضع كثيرة، وأما موضوع الكتاب فهو واضح من العنوان (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن) فقد عرض المؤلف الآيات المتشابهة تشابها لفظيا، ولم يكتف بذلك بل تحدث عن آيات ليست من المتشابه، وإنما يرى من أنه من المناسب معرفة تفسيرها والمراد منها، فكان حديثه في بعض المواضع يدور حول آية واحدة فقط، وهذا تقريبا نفس منهج ابن جماعة في كتابه .

¹ - ينظر ترجمته في: الأعلام للزركلي، 46/3 .

² - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لأبي يحيى زكريا الأنصاري، دار القرآن الكريم- بيروت لبنان، 1403هـ/1903م ص: 15.

3- خصائص منهج ابن يحيى في كتابه:

- التزم أبو يحيى أيضا منهج المفسرين في تناولهم لسور القرآن حسب ترتيبها في المصحف، وهو منهج من سبقه من علماء توجيه المتشابه اللفظي
 - اختار الأنصاري منهج الكرماني في تقسيم الآيات المتشابهات إلى مقاطع قصيرة وإثارة مسألة وحيدة غالبا.
 - الإيجاز الشديد، حيث لم يبسط الأنصاري الكلام في توجيه الآيات، وقد تابع في ذلك الكرماني في كتابه البرهان، إلا أن الأنصاري لم يقع في الغموض والإخلال الذي وقع في بعض توجيهات الكرماني.
 - انتهج الأنصاري أسلوب المناقشة والحوار مع القارئ وذاك منهج وذاك منهج ابتكره الإسكافي وتبعه الغرناطي.
 - اعتمد الأنصاري على أربعة أسس في توجيه المتشابه اللفظي هي: اللغة والنحو والبلاغة والسياق وقد نبهه يعتمد على توجيه الآية نحويا فقط في بعض الأحيان.
- نقل الأنصاري كثيرا عن سبقه، لكنه لم يعز أكثر ما نقل إلى المصادر التي أخذ عنها، فنجده قد نقل مقاطع كثيرة بنصها من كتاب [البرهان] للكرماني دون الإشارة إلى ذلك . وبهذا نصل إلى نهاية هذا الملخص الموجز حول كتب توجيه المتشابه اللفظي والذي رأينا فيه تقارب بين هذه الكتب في المنهج والخصائص وذلك نظرا لتأثر بعضها ببعض ثم إن هناك اختلافًا في طريقة العرض والتحليل وذلك لكل أسلوبه، وقد كان كتاب ملاك التأويل أحسنها لما فيه من البسط للمسائل ثم يليه كتاب الدرّة

ثالثا: علاقة التكرار القصصي بالسياق الزمني

علاقة التكرار القصصي بالسياق الزمني:

جاءت النصوص القرآنية على وفق الأحداث المكية والمدنية التي مرّ بها الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام وكانت تعالج موضوعات متنوعة وعلى اتجاهات مختلفة منها سياسية ومنها اجتماعية ومنها أخلاقية وأخرى إدارية وعلى هذا الأساس كان لزاما على النص بمستويات جلية مرة ومرة خفية ضمنية ولكل نص قرآني مناسبة نزول مرتبطة ارتباطا وثيقا بتلازم وتماسك النص. وكذلك علاقات خارجية ما بين دلالات النص وأخرى داخلية في إطار واحد، فضلا عن كونه يقدم نفسه بوصفه نصّا واحدا في إطار السور المتعددة.

وقد تكلم ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾¹ عن الحكمة من تنزيل القرآن منجما، وذكر من الحكمة أنه نزل بحسب الحوادث، كي يظهر في كثير من آياته مطابقتها لمقتضى الحال، ومناسبتها للمقام، وذلك هو الإعجاز.

ويربط ابن عاشور هذا التفريق والتنجيم بأسباب النزول إذ يقول: «ولأسباب النزول مدخل في ظهور مقتضى الحال ووضوحه، وهذا ما بلغ إليه استقرائي»²، بل يؤكد أن بعض أسباب النزول يلفت نظر المفسر إلى خصوصيات بلاغية، لا تدرك إلا باستحضار المقام، يقول: «ومنها ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام»³.

وقد أكد الشاطبي هذه العلاقة أيضا إذ يقول: «معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران :

- أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن، فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو

¹ - سورة الفرقان، الآية: 32 .

² - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 41/1 .

³ - نفسه، 48/1 .

المخاطب، أو المخاطب، أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حاله، وبحسب مخاطبيه، وبحسب غير ذلك.. ومعرفة الأسباب رافعة كل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب ولا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال وينشأ عن هذا الوجه:

- الوجه الثاني: وهو أنّ الجهل بأسباب التنزيل مُوقع في الشبه والإشكالات، ومُورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع..¹

إنّ الذي نرّمى للحديث عنه في هذا المبحث هو محاولة الربط بين أسباب النزول وظاهرة التكرار القصصي في القرآن الكريم، أو بعبارة أخرى كيف يمكن لأسباب النزول أن تساعد في فهم وتوضيح ما تكرر من قصصه خاصة المكي والمدني منه؟

وقد تكلمنا في مدخل البحث عن علاقة السياق بأسباب النزول ورأينا أنّ أسباب النزول ضابط مهم في الوصول إلى المعنى المقصود؛ وخاصة في تفسير بعض الآيات التي نزلت مرتبطة بسبب معين، أما الآيات التي نزلت ابتداءً دون الارتباط بجاذبة أو واقعة معينة فإنها لا تحتاج إلى البحث كثيراً في مثل هذه الأسباب عند تفسيرها، إلا أن هذا لا يعني أن يستغني المفسر كلياً عن الظروف والأسباب العامة التي صاحب نزول القرآن، يقول الدكتور صبحي الصالح: «... لذلك لم نتشدد في عبارتنا الموضحة للقسم الذي نزل ابتداءً غير مبني على سبب، فلم نجعل هذا القسم شاملاً كل الوقائع الماضية بل أكثرها، ولا شاملاً كل القصص القرآني بل أغلبه، ولا شاملاً حتى كل مشاهد القيامة وتصوير الجنة والنار بل جل هاتيك المشاهد والصور فلا شيء يمنع أن يكون لبعض هذه النوازل أسباب، ولكن لا مفر للباحث من أن يسلم بقلة احتياجها إلى هذه الأسباب حين يوازن بينها وبين غيرها من القضايا التشريعية والتوجيهية»²

¹ - الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، شرحه وخرّج أحاديثه: الشيخ عبد الله دراز وآخرون، دار الكتب العلمية، (ط1): 1425هـ/ 2004م، ص: 675 - 676 .

² - مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار الملايين - بيروت، (ط10)، 1977م، ص: 141 .

إنّ لأسباب النزول مساهمة جلييلة في الوصول إلى ما يسمى مقتضى الحال بطريق غير مباشر، لأنها تبين المكى من المدني وتمكن المفسر من أن ينظر إلى النص من خلال خصائصه المكية والمدنية، ويتعامل معه من خلال أوجه البلاغة الخاصة بكل منهما.

ولا ينكر كون أثر النص مكيا أو مدنيا في أسلوبه البياني أو بلاغة تراكيبه بعيدا عن أسباب النزول، وقد يكون من المفيد أن نمثل لأثر كون النص مكيا أو مدنيا بعيدا عن أسباب النزول بقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا﴾¹.

وقوله تعالى في الأعراف: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (160) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾².

نلاحظ أنّ الآيتين قد تناولتا حادثة استسقاء موسى عليه السلام لقومه في سياق الحديث عن بني إسرائيل، ونجد أنّهما تختلفان في طبيعة الخطاب وتوجيهه.

ففي آية البقرة نجد البيان الإلهي متوجه بالخطاب إلى بني إسرائيل أنفسهم، ويدل على ذلك تمام السياق في الآية الثانية (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ) فالخطاب متوجه إليهم، وفي آية الأعراف كان الإخبار عنهم بضمير الغائب (وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا) وذلك لأن الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم فإن الله يقص عليه ما فعل بهم .

والسبب في ذلك أن آية الأعراف مكية ولم يكن للمسلمين احتكاك مع اليهود فناسب أن يوجه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يخبر عنهم بصيغة الغائب. وأما آية البقرة فإنها مدنية،

¹ - سورة البقرة، الآية: 60 - 61 .

² - سورة الأعراف، الآية: 160 .

وكان المسلمون أيامها في جدال مع اليهود، فجاء الخطاب موجها إليهم¹، يقول ابن كثير « وهذه القصة شبيهة بالقصة المذكورة في سورة الأعراف، ولكن تلك مكية، فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب، لأنّ الله يقص على رسوله صلى الله عليه وسلم عما فعل بهم، وأما في هذه السورة، وهي البقرة فإنها مدنية، فلهذا كان الخطاب متوجها إليهم»².

يبين المثال السابق فائدة المكي والمدني في معرفة مقتضى الحال، وبالتالي الأثر غير المباشر لأسباب النزول في معرفة مقتضى الحال من خلال تحديدها المكي والمدني³ وهذا مما يؤكد على أهمية ودور أسباب النزول في الكشف عن المعنى المراد من البيان القرآني فقد كان لها الأثر البارز في توجيه الخطاب القصصي وفق سياقه ومحيطه الذي نزل فيه، والله أعلم.

¹ - أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، عماد الدين محمد الرشيد، ص:63.

² - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مصطفى السيد وآخرون، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، (ط1) : 1421هـ/ 2000م، 1/ 425.

³ - أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، عماد الدين محمد الرشيد، ص:63.

الفصل الثاني

صور التكرار والاختلاف وتفسيرها في قصة

موسى عليه السلام

دراسة

في سورتي البقرة والأعراف

تمهيد :

تعد قصة موسى عليه السلام من أكثر القصص تكرارا في القرآن الكريم، فقد ورد ذكرها في حوالي ثلاثين موضعا، وفي كل موضع تعرض بالقدر الذي يحقق الغرض الديني الذي استدعى ذكرها وقد كان أكثر ما ورد منها في السور المكية. ومن المعلوم أن أبرز خصائص القرآن المكي حملته المتلاحقة على الشرك والوثنية وتوعد المعاندين والمكابرين بالعذاب الأليم، وهو ما تجسد في العديد من مواضع القصة.

أما في السور المدنية، فلم ترد القصة فيها مكررة كثيرا، وذلك لأن طبيعة الخطاب القرآني في العهد المدني كان متجها قصد بناء دولة الإسلام وتشريع الأحكام. وقد ورد بعض من هذه القصة لمخاطبة اليهود وذلك لدعوتهم إلى الدخول في الدين الإسلامي وتحذيرهم من الكفر والخروج عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد اختار الباحث في هذا الفصل التطبيقي نموذجين من هذه القصة، أحدهما مكيا والآخر مدنيا، وعمد إلى دراسة وتوجيه تشابهما اللفظي وفق السياق الزماني؛ حيث استخرج النماذج المدروسة ووضعها في جداول، ثم تطرق بعد ذلك إلى عرض توجيهات العلماء في كل موضع ومناقشتها والترجيح بينها .

ومما يشير إليه الباحث أيضا، أنه لم يتطرق إلى توجيه كل مواضع المتشابه اللفظي الواردة في القصتين، وإن كان قد وجه أغلبها وما ترك منها إلا مواضع قليلة ولولا ضيق الوقت لأتمها، وقد كانت هذه المواضع كافية لتوضيح رؤية الباحث وغايته من بحثه.

ملخص القصة في السورتين:

سورة البقرة:

سورة البقرة مدنية بلا خلاف¹، والسياق العام لهذه السورة هو: " تقرير أصول العلم وقواعد الدين " ولقد كانت هذه السورة من أوائل السور التي نزلت بالمدينة إن لم تكن أولها.

قال ابن حجر رحمه الله: « وافقوا على أنها مدنية وأنها أول سورة نزلت بها »².

ولقد اعتنت السورة بمخاطبة جميع طوائف المجتمع المدني ومنهم طائفة بني إسرائيل، والملاحظ أن قصة موسى عليه السلام مع فرعون في هذه السورة قد وردت بسياق ظاهر فيه تعداد النعم والآلاء على بني إسرائيل يقول ابن القيم: « وأما قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلِيٍّ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾³ فإنما يذكرهم بنعمه على آبائهم، ولهذا يعددها عليهم واحدة واحدة؛ بأن أبحاهم من آل فرعون، وبأن فرق بهم البحر، وبأن وعد موسى عليه السلام أربعين ليلة، فضلوا بعده ثم تاب عليهم وعفا عنهم، وبأن ظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، إلى غير ذلك من نعمه التي يعددها عليهم، وإنما كانت لأسلافهم وآبائهم، فأمرهم أن يذكروها ليدعوهم ذكرهم لها إلى طاعته والإيمان برسله، والتحذير من عقوبته بما عاقب به من لم يؤمن برسوله ولم ينقد لدينه وطاعته، فكانت نعمه على آبائهم نعمة منه عليهم تستدعي منهم شكرا، فكيف تجعلون مكان الشر عليها كفرهم برسولي، وتكذيبكم له، ومعاداتكم إياه، وهذا لا يدل على أن نعمته المطلقة حاصلة لهم في حال كفرهم، والله أعلم »⁴.

¹ - ينظر تفسير المنار، محمد رشيد رضا، تح: محمد عبده، دار المنار القاهرة، (ط2) : 1366هـ/ 1947م ، 1/ 106 .

² - ينظر : البرهان في علوم القرآن، 187/1، وتفسير ابن كثير 155/1 .

³ - سورة البقرة، الآية: 47 .

⁴ - بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية 420/2.

ويقول البقاعي: «المقصود من سياق قصص بني إسرائيل في البقرة الاستجلاب للإيمان بالتذكير بالنعم»¹.

ومعظم المفسرين قد أقرّوا بهذا السياق وأكدوا على أن القصة في سورة البقرة كانت كلها متوجه إلى غرض دعوة اليهود للدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وتحذيرهم من الكفر والعصيان وهو ما سنبينه في مواضع توجيهه المتشابه بإذن الله.

سورة الأعراف:

وهذه السورة هي السابعة في ترتيب النزول وهي مكية بالإجماع وقد استثني منها إلا ثمان آيات وهي من قوله تعالى: (وَإِسْرَائِيلَ) ² إلى قوله تعالى: (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ) ³ ⁴.

وقد كانت القصة في هذه السورة مقسمة إلى شقين:

الأول: مع فرعون وملئه وهي فترة ما قبل الخروج من مصر وهنا كان الجدال مع فرعون وقومه وكان من موسى عليه السلام البيان التام فكان في أولها: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ⁵. ثم ما تبع ذلك من تعاقب العقوبات والآيات على آل فرعون رجاء إيمانهم من أخذهم بالسنين، وإرسال الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، كل هذا كان يقابله العصيان التام من الملأ الكافر فكان له الهلاك التام.

الثاني: وأما الشق الثاني من القصة فكان مع بني إسرائيل، وكان يسجل تأريخهم، كما قد سجله في الشق الأول قبل الخروج من مصر، وهذا التأريخ عنوانه العصيان، فقد كابد موسى عليه السلام معهم

¹ - نظم الدرر، البقاعي، 70/8، بتصرف يسير.

² - سورة الأعراف، الآية: 163 .

³ - سورة الأعراف، الآية: 171 .

⁴ - ينظر: روح المعاني، الألوسي، 267/1.

⁵ - سورة الأعراف، الآية: 105 .

أشد العصيان وهم يعاينون معه أجلى البيئات إذ لم تكن رغبتهم في عبادة آلهة بعد النجاة إلا من هذا العصيان، وما اتخذهم العجل إلا منه، وما اعتداؤهم في السبت إلا منه إلى آخر ما كان منهم.

قال البقاعي: « فالمقصود من قصة موسى عليه السلام وفرعون عليه- اللعنة والملام- هذا الاستدلال الوجودي على قوله: ﴿ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾¹ ومن هنا تعلم أن سياق قصة بني إسرائيل بعد الخلاص من عدوهم لبيان إسرعهم في الكفر ونقضهم العهود، واستمر سبحانه في هذا الاستدلال إلى آخر السورة»².

فهذا هو السياق العام لقصة موسى مع بني إسرائيل في سورة الأعراف والذي كان من غرضه تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وتحذير الكفار والمشركين من أهل مكة من مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيحل بهم ما حل ببني إسرائيل.

¹ سورة الأعراف، الآية: 102 .

² - نظم الدرر، البقاعي، 71/8.

المقطع الأول:

قال تعالى في البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50) وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

وفي الأعراف ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (141) وَوَاَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

وفي هذا الجدول بيان لمواضع التشابه في المقطعين:

سورة الأعراف	سورة البقرة
أَنْجَيْنَاكُمْ	بَجَّيْنَاكُمْ
يُقَتِّلُونَ	يُدَبِّحُونَ
وَوَاَعَدْنَا	وَإِذْ وَاَعَدْنَا
وَوَاَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ	وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً

الموضع الأول: اختلاف الصيغة الصرفية : (التضعيف وعدمه):

— قال في البقرة: (بَجَّيْنَاكُمْ)، وفي الأعراف: (أَجَّيْنَاكُمْ)، وكلا الفعلين متعدي، فالأول تعدى بالتضعيف، والثاني بالهمزة، ولكن سر اختصاص كل منهما بالموضع الذي ورد فيه، يرجع في الحقيقة إلى بحث الفروق بين الصيغتين، ومن ثمّ تعيّن أن ننظر في معنى ما يأتي معدى بالتضعيف تارة وما يأتي معدى بالهمزة تارة أخرى.

والمعروف أنّ صيغة " أفعل " تفيد التعدية في أغلب الأحيان، وقد تكون لها معاني أخرى كالتعريض والسلب والدخول في الزمان أو المكان والصورورة ... وغيرها¹.

أمّا صيغة: " فعّلت " فإنّها تفيد التكرير والمبالغة في الشيء غالباً ولها معانٍ أخرى²، قال سيوييه : « تقول كسرتّها، وقطعتّها، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسرتّه، وقطعتّه، ومزّقتّه ...، وقالوا: ظلّ يفرّسها السبع ويؤكلها، إذا أكثر ذلك فيها..، واعلم أنّ التخفيف في هذا جائز كلّه عربيّ، إلاّ أنّ فعّلت إدخالها هاهنا لتبيين الكثير»³.

وأوضح السيرافي هذا: « يريد أنّ التخفيف قد يجوز به القليل والكثير فإذا شددت دللت على الكثير»⁴.

ولكثرة ورود هذه الصيغة لهذا المعنى، فقد دفع بعض اللغويين إلى أن يتصوّر أنّها لا تأتي إلاّ لهذا المعنى، يقول صاحب كتاب النوادر في اللغة: « فعّلت لا يكون إلاّ للتكثير كقولك : أغلقت الباب، وغلّقت الأبواب، فإن قلت: غلّقت الباب لم يُجز إلاّ على أن تكون قد أكثرت إغلاقه »⁵.

¹ - ينظر: أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، د. نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1409هـ/1989م، 31 وما بعدها.

² - ينظر: الشافية في علم التصريف: ابن الحاجب، تح: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية - مكة، (ط2): 1415هـ/1995م، ص: 19، وأبنية

الأفعال دراسة لغوية قرآنية، د. نجاة عبد العظيم الكوفي، 48.

³ - الكتاب، سيوييه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، (ط2): 1402هـ/1982م، 64/4.

⁴ - نفسه: هامش رقم: 05، 64/4.

⁵ - النوادر في اللغة، لأبي سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، دار الكتاب- بيروت، (ط2): 1387هـ/1967م، ص: 202.

وبالتالي يمكن أن نقول: أن إفادة هذه الصيغة لمعنى التكرير لا إشكال فيه كما هو ظاهر ما لم تكن للتعدية¹، أما إذا كانت للتعدية كما في هذا الموضوع ففيه خلاف²، يقول ابن عاشور: « فأما إن كان فعل المضاعف للتعدية فإن إفادته التكرير مختلف فيها، والتحقيق أنّ المتكلم قد يعدل عن تعدية الفعل بالتضعيف لقصد الدلالة على التكرير؛ لأنّ المضاعف قد عرف بتلك الدلالة في حالة كونه لازماً فقارنته تلك الدلالة عند استعماله للتعدية مقارنة تبعية...، وأنا أرى أنّ استفادة معنى التكرير في حال استعمال المضعّف للتعدية أمر من مستتبعات الكلام حاصل من قرينة عدول البليغ عن المهموز الذي هو خفيف إلى المضعّف الذي هو ثقيل، فذلك العدول قرينة على المراد وكذلك الجمع بينهما³ .

وما ذهب إليه ابن عاشور نؤيده هنا وذلك من ناحيتين:

- الناحية الأولى: أنّه إذا كان عدول المتكلم البليغ عن المهموز الخفيف والذي يعدّ الأصل في التعدية إلى المضعّف الثقيل قرينة على إرادة التكرير، فكيف به إذا تكلم به في آية مضعفاً وفي شبيحتها غير مضعّف؟

- الناحية الثانية: أنّ السياق هنا يدل على معنى التكرير في هذا الموضوع، وليس هذا استدلال في محل النزاع، لأنّ هذا المعنى قد تقرّر بغير هذا اللفظ المضعّف - كما سيأتي بيانه - وأتى هو موافقاً لهذا السياق .

وقد درس الدكتور فاضل صالح السامرائي الفرق بين هاتين الصيغتين (**فَعَّل** ، **وأفعل**) في العديد من مواضع المتشابه في القرآن الكريم، واستنتج القاعدة التالية:

1 - صيغة **فَعَّل** غالباً ما تدل على المبالغة في الحدث، والتكرير منه والمداومة عليه، ويكثر في الأمور المعنوية غير المادية، كما تستعمل فيما هو أهم وأكدر ممّا تستعمل فيه **أفعل**.

¹ - بمعنى أن يكون الفعل لازماً قبل تعديته بالتضعيف

² - ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان (ط1) : 1413هـ/ 1993م ، 1/ 393 .

³ - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 11/1 .

2 - وأما صيغة أفعل تدل على الإسراع في الحدث، وحدوثه جملة واحدة، ويكثر في الأمور المادية.

وبناء على هذه القاعدة يذهب السامرائي إلى التفريق بين مجيء الفعل: (بجى) في سورة البقرة ومجيء الفعل: (أنجى) في سورة الأعراف، ويرى أنّ سورة الأعراف قد ورد فيها ذكر حالة التوتر والمعاناة التي لقيها بنو إسرائيل من فرعون وقومه والتي صورتها آيات عديدة مما استدعى ذلك سرعة تخليصهم من العذاب ولهذا عبّر بالفعل أنجى الدال على الإسراع في النجاة من تلك الأهوال.

أما سورة البقرة فلم يرد فيها ذكر حالهم مع فرعون سوى في آية واحدة، يقول السامرائي: « قال في سورة البقرة: (بَجَيْنَاكُمْ)، وقال في الأعراف: (أَبْجَيْنَاكُمْ)، ذلك أنّه لم يذكر في سورة البقرة شيئاً من حالهم مع فرعون إلا هذه الآية، أما سورة الأعراف فقد أطل وفصل في حالهم مع فرعون وقومه ابتداءً من الآية الرابعة بعد المائة إلى الآية الحادية والأربعين بعد المائة (100 - 141)، وذكر أموراً تبين حالة التوتر والمعاناة التي يعيشونها في ذلك المجتمع مما لم يذكر في سورة البقرة.. فافتضى ذلك الإسراع في إنجائهم فقال أنجى¹ .

وقد اعترض الدكتور أحمد رجائي الجبالي على توجيه السامرائي هذا ورأى أنّ السياق الذي قدّم به لتوجيه الفعل (أنجى) في الأعراف يناقض ما انتهى وخلص إليه، حيث قال كما تقدم: " في الأعراف قد أطل وفصل في حالتهم مع فرعون وقومه... وطال الكلام والتفصيل"، وهذه الإطالة وهذا التفصيل يناقضان الإسراع في الإنجاء، فالإسراع في شيء ما - خاصة مع شدة أذى وتنكيل - يقتضي الإيجاز في القول، أما أن يفصل، ويطيل القول، ويطول الزمن، فأنى يكون ذلك إسراعاً في الإنجاء؟!² .

وحسب رأيي أنّ الذي أوقع السامرائي في هذا التناقض هو الابتعاد عن السياق في توجيهه لهاتين الصيغتين؛ إذ الاعتماد على التفصيل أو الإجمال وتخصيص كل منهما بصيغة معينة فيه نظر من

¹ - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك للنشر - القاهرة، (ط2): 2006، ص: 71 - 72 .

² - المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، بين القدامى والمحدثين أحمد الغرناطي وفاضل صالح السامرائي، دراسة مقارنة، محمد رجائي أحمد الجبالي، جامعة ملايا كوالالمبور (دكتوراه) موسم: 2012، ص: 166.

أصله، والدليل على ذلك عدم صدقه على كل المواضع التي جاء فيها التعبير بالفعل نَجَى أو أُنجى في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا هُودًا وَالدِّينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَبَحَيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾¹ وقد ذكرت القصة مفصلة في سورة هود.

وقوله: ﴿وَبَحَيْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾² في موضع التفصيل.

وقوله: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾³ في موضع الإجمال.

ثم هو نفسه قد رجع وأقر بضرورة الاعتماد على السياق في التوجيه، وذلك عند توجيهه لقوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾⁴ مع قوله تعالى: ﴿وَبَحَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾⁵ يقول السامرائي: « إن ذلك بحسب ما يقتضيه السياق والمقام، فقد يتطلب المقام ذكر الإسراع في النجاة، فيستعمل (أنجى) وقد لا يتطلب ذلك، فيستعمل (نجى)، وكل ذلك صحيح، فقد نستطيل أمرا، وقد نستقصره، بحسب المقام، فقد تقول في مقام (الدنيا طويلة)، وقد تقول في مقام آخر (الدنيا قصيرة) ولكل مقام مقال»⁶.

ومن هنا فيني أرى - والله أعلم - أن الاعتماد على السياق في توجيه الصيغتين هو الأقرب إلى الصواب من غيره، وعليه فنقول: لقد كان السياق في سورة البقرة في مخاطبة بني إسرائيل المتواجدين بالمدينة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فكان المولى عز وجل يذكرهم بما أنعم به على أسلافهم؛ لأنّ تنجية أسلافهم تنجية لهم⁷، ولو بقي الحال كذلك للحق بهم التذبيح وسوم العذاب، ولهذا عبّر بالفعل المضعف الدال على الكثرة والمبالغة في الانحاء، مما كانوا يتعرضون له من أنواع العذاب من قبل فرعون وقومه فكان ذلك من أكبر النعم عليهم، يقول ابن الزبير: « فلما كان موضع تعداد نعم وآلاء

1 - سورة هود، الآية: 58 .

2 - سورة يونس، الآية: 86 .

3 - سورة العنكبوت، الآية: 15 .

4 - سورة النمل، الآية: 53 .

5 - سورة فصلت، الآية: 18 .

6 - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، السامرائي، ص: 69 .

7 - ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 489/1 .

ذَكَرُوا بِهَا لِيُزِدْجُرُوا عَنِ الْمَخَالَفَةِ وَالْعِنَادِ نَاسِبَهُ التَّضْعِيفَ لِإِثْبَاتِهِ بِالكَثْرَةِ، وَلَوْ قِيلَ: (أَجْنَيْنَاكُمْ)، لَمَا أُنْبَأَ بِذَلِكَ وَلَا نَاسِبَ الْمَقْصُودِ مِمَّا ذَكَرَ، وَأَيْضًا فَإِنَّ التَّضْعِيفَ فِي: (بَجَيْنَاكُمْ) يَنَاسِبُ التَّضْعِيفَ الْوَارِدَ بَعْدَهُ فِي قَوْلِهِ: (يُذَبِّحُونَ)، وَلَمْ يَكُنْ لَفْظُ أَجْنِينَاكُمْ لِيَنَاسِبَ «¹»، وَقَدْ أَضَافَ ابْنُ الزَّيْبِرِ هُنَا سَبِيحًا لَفْظِيًّا لِهَذَا التَّضْعِيفِ وَهُوَ مَنَاسِبَتُهُ لِلتَّضْعِيفِ فِي: (يُذَبِّحُونَ)، وَلَيْسَ مِنَ الْحَرْجِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ نَكْتَةٍ بَلَاغِيَّةٍ؛ لِأَنَّ النِّكَاتِ الْبَلَاغِيَّةَ - كَمَا يَقُولُونَ - لَا تَتَرَاكُمُ .

أَمَّا وَرُودُ الْفِعْلِ: (أَجْنَيْنَاكُمْ) فِي الْأَعْرَافِ غَيْرِ مُضَعَّفٍ، فَإِنَّ الْقِصَّةَ فِي سِيَاقِ الْإِخْبَارِ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي عَهْدِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَكَانَ التَّذْكِيرُ بِالنَّجَاةِ هُنَا امْتِنَانًا مِنَ اللَّهِ اعْتَرَضَهُ بَيْنَ الْقِصَّةِ وَعَدَّةِ مُوسَى انْتِقَالًا مِنَ الْخَبَرِ وَالْعِبْرَةِ إِلَى النِّعْمَةِ وَالْمُنَّةِ، وَمِمَّا يُوَيِّدُ ذَلِكَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ: (أُنْحَاكُم)²، فَهِيَ مِنْ مَقُولِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَذِّكُرُهُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ التَّذْكِيرَ بِنِعْمَةِ الْإِنْجَاءِ هُنَا كَانَ بِمِثَابَةِ التَّقْرِيعِ وَالتَّأْنِيبِ لَهُمْ عَلَى إِسْرَاعِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَطَلْبِهِمْ عِبَادَةَ الْعَجَلِ بَعْدَ مَجَاوِزَتِهِمُ الْبَحْرَ مَبَاشَرَةً وَبِحَاكُمُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَبِطُشِهِ .

كَذَلِكَ أَنَّ الْخُطَابَ بِصِيغَةِ نَجِينَاكُمْ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى التَّضْعِيفِ وَالشَّدَّةِ بِشَدَّةِ الْمُنْكَرِ الْعَالَمِ لِلْقِصَّةِ وَهُمْ يَهُودُ الْمَدِينَةِ، وَ مَا فِيهَا أَيْضًا مِنْ مَعْنَى التَّكْرَارِ لِلْأَمْرِ أَي لَمْ يَنْجَهُمْ مَرَّةً وَاحِدَةً بَلْ نَجَاهُمْ عِدَّةَ مَرَاتٍ وَهَذَا يُوَافِقُ تَعْدَادَ النِّعَمِ وَهَلْ بَعْدَ نِعْمَةِ النِّجَاةِ لِمَرَاتٍ وَمَرَاتٍ نِعْمَةٌ أَجَلٌ مِنْهَا.

وَلَمَّا امْتَدَّ مَعْنَى التَّنْجِيَةِ فِي آيَةِ الْبَقْرَةِ حَتَّى شَمَلَ الْمُخَاطَبِينَ قَصِدَ تَمْكِينِ هَذِهِ النِّجَاةِ لَهُمْ ، وَكَانَ مِنْ مَعَانِي " التَّكْثِيرِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي الْحَدَثِ، اسْتِغْرَاقِ وَقْتِ أَطْوَلِ وَأَنَّهُ يَفِيدُ تَلَبُّثًا وَمَكْنَاً"³ كَانَ التَّضْعِيفُ هُوَ الْمُنَاسِبَ لِهَذَا الْمَعْنَى، وَهَذَا الْغَرَضُ لَا يَتَحَقَّقُ فِيمَا لَوْ كَانَ التَّعْبِيرُ بِالْفِعْلِ أَجْبَى .

¹ - ملاك التأويل، ابن الزبير، 199/1 .

² - ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 489/1 .

³ - - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، السامرائي، ص: 62 .

وأما مشركو مكة فحال المنكر للقصة جملة وتفصيلا لعدم درايتهم بها، فكان الخطاب الموجه لهم على سبيل العموم فلم يشتمل على ذكر وبيان مرات التنجية فبينت الصيغة نعمة النجاة على عمومها وانتهى وهي صيغة أنجيناكم، والله أعلم .

الموضع الثاني: الإبدال (إبدال كلمة بكلمة):

— قال في البقرة: (يُذَبِّحُونَ)، وفي الأعراف: (يُقْتَلُونَ) :

الذبح والقتل يؤديان إلى نتيجة واحدة وهي الموت ، لكن لكل منهما دلالة مميّزة تميزها عن الأخرى، دون أن يكون هناك تناقض أو ترادف تام بينهما .

وحتى يتبين لنا الفرق بينهما لا بد من النظر في المعنى اللغوي لكل لفظ منهما:

قال الراغب: « أصل الذبح شق حلق الحيوانات...، وقوله تعالى: (يذَّبِحُونَ) [البقرة: 49] على الكثير، أي يُذَبِّح بعضهم إثر بعض »¹ ، « فالذبح مُنبئ عن القتل وصفته »² ، وأما لفظ القتل فهو أعم من ذلك ، يقول الراغب: « أصل القتل: إزالة الروح عن الجسد »³ ، ويدل القتل أيضا عن الموت نتيجة الإذلال، قال ابن فارس: « القاف والتاء واللام أصل صحيح يدل على إذلال وإماتة »⁴ يتبين لنا أنّ القتل أعم من الذبح من حيث الدلالة؛ لأنه قد يحصل بالذبح وبغيره، كما أنّ لفظ الذبح أشدّ وقعا على النفوس لما توحيه دلالاته من الشناعة، جاء في كشف المعاني: « وَحُصَّ الذَّبْحُ بالذكر هنا لعظم وقعته عند الأبوين ولأنّه أشدّ على النفوس »⁵ .

وقد اعتمد ابن الزبير الغرناطي في توجيهه للفعل (يُذَبِّحُونَ) في آية البقرة على حقيقة أنّ الذبح يخبرنا بالقتل وبالكيفية، وأما القتل فإنما هو إخبار بالقتل الذي ينم عن الموت دون أن يشمل كيفية

¹ - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: محمد سيّد كيلاني، (دط)، (دتا)، ص: 177 .

² - ملاك التأويل، ابن الزبير، 1/ 199 .

³ - المفردات في غريب القرآن، الراغب، ص: 393 .

⁴ - مقاييس اللغة، ابن فارس، 5/ 56، مادة (قتل) .

⁵ - كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ابن جماعة، ص: 95 .

القتل، قال: «إنّ الذبح مُنبئ عن القتل وصفته، وأما اسم القتل فلا يفهم إلا إعدام الحياة ويتناول من غير المقتول في الغالب، فعبر أولاً بما يوحي المقصود من الإخبار بالقتل مع إحراز الإيجاز فقال: (يُذَبِّحُونَ)»¹.

وأما توجيهه للفعل: (يُقْتَلُونَ) فيقول فيه: «وعبر في سورة الأعراف بالقتل لأنه أوجز من لفظ (يُذَبِّحُونَ) لأجل التضعيف، إذ لفظ (يُذَبِّحُونَ) أثقل لتضعيفه، وقد حصلت صفة القتل في سورة البقرة، فأحرز الإيجاز في الكل»². وقد اعتمد ابن الزبير هنا كما نرى على قراءة نافع في التوجيه وكان الأولى به أن يوجهها على قراءة الجمهور والتي هي بالتشديد على إرادة التكثير (يُقْتَلُونَ)³.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن ذكر التقتيل في سورة "الأعراف" المكية هو من باب ذكر العام قبل الخاص؛ أي أن هناك صوراً عدة من القتل كانت تمارس على بني إسرائيل، أُجملت في قوله سبحانه وتعالى: (يقتلون)؛ ثم ذكر منته في سورة "البقرة" المدنية على بني إسرائيل الذين يعيشون في زمن النبوة بقوله: (يذبحون)؛ وذلك للانتقال بالخطاب تدريجياً من عموم صور القتل إلى أشد وأخص أنواعه أما وضراوة وهو الذبح، وفي هذا التدرج زيادة امتنان على المخاطبين، ومن جهة أخرى دعوة لتذكر نعم الله عليهم فيقبلوا على هذا الدين، إذ لا بد أن تصب فائدة السر البياني في بحر الهداية التي لأجلها أنزلت الشرائع. والله أعلم.

¹ - ملاك التأويل : ابن الزبير، 199/1 .

² - نفسه: 200/1 .

³ - ينظر البحر المحيط، أبو حيان، 378/4 .

الموضع الثالث: الحذف والذكر (حذف كلمة وذكرها):

— قال في البقرة: (وَإِذْ وَعَدْنَا)، وفي الأعراف: (وَوَعَدْنَا) :

ولم نجد لعلماء المتشابه اللفظي ولا المفسرين رأيا واضحا في هذا الموضع يبين لنا مناسبة هذه الزيادة ، اللهم إلا ما ذكره أبو السعود والبقاعي وأبو حيان¹ من أن تقدير الكلام في (وَإِذْ وَعَدْنَا) هو (وَاذْكُرُوا إِذْ وَعَدْنَا) ؛ لأنّ (إذ) هنا ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب مفعول به للفعل المقدر (اذكروا)، وهذا التقدير جار في العديد من المواضع منها²: (وَإِذْ بَحَّيْنَاكُمْ)، (وَإِذْ فَرَقْنَا)، (وَإِذْ آتَيْنَا)، (وَإِذْ قُلْتُمْ)، (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ) ، (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ)...

ومن هنا يمكن أن نوجه هذا الموضع بناء على ما عرفناه سابقا من أن الأسلوب في سورة البقرة كان جاريا مجرى الخطاب وذلك بتذكير بني إسرائيل بجملة النعم التي أنعم الله بها عليهم وقد حثهم بذلك صراحة في قوله: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾، ولما توالى التذكير بهذه النعم الكثيرة وعددها عليهم مفصلة كل نعمة لوحدها وكان المقام في كل مرة يحتاج إلى التذكير، حذف العامل للإيجاز وتجنب التكرار في الفعل وأبقى ما يدل عليه وهو معموله وهذا لتقريبهم بذلك في كل مرة. والله أعلم.

والخلاصة أن الاختلاف في هذه الزيادة هو أن سياق تعداد النعم في الخطاب المدني استلزم ذكر اللازمة الظرفية "إذ" لبيان دخول خصوصها في عموم عدّ النعم، أما في المكّي فلم ترد لأن الخطاب جاء على صيغ الإخبار العامة ولا ارتباط له بالمضمون التفصيلي من حيث عد النعم، كما أنه والله أعلم أن الإخبار بعموم القصة ألزم ورودها على الترابط والتسلسل فكانت أحداثا متتابعة، أما في البقرة فأضمرت بعض تفاصيلها القصة لمغزى تعداد النعم فيها .

¹ - ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، (دط)، 101/1، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، البقاعي، 354/1 .

² - ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المنزل، بحجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للنشر والتوزيع، دط، 62/1 وما بعدها .

الموضع الرابع: الإجمال والتفصيل:

(أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) (ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ)

فقد ذكر المواعدة مجملة في البقرة ثم فصلها في الأعراف فما وجه ذلك؟

وقبل الحديث عن ذلك لابد من تحرير المعنى هنا، إذ قد اختلف العلماء في إعراب: (أَرْبَعِينَ) في البقرة، و(ثَلَاثِينَ) في الأعراف .

قال أبو حيان: « ونصب أربعين على المفعول الثاني لواعدنا على أنّها هي الموعودة، أو على حذف مضاف التقدير: تمام أو انقضاء أربعين حذف وأقيم المضاف إليه مقامه فأعرب إعرابه قاله الأخفش¹ .

ويقول ابن جرير: « ومعنى ذلك وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة بتمامها فالأربعون ليلة كلها داخلة في الميعاد. وقد زعم بعض نحويي البصرة أنّ معناه: وإذ واعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة، أي رأس الأربعين ومثل بقوله: (وسئل القرية)، وبقولهم: اليوم أربعون منذ خرج فلان واليوم يومان أي اليوم تمام يومين وتمام أربعين، وذلك خلاف ما جاءت به الرواية عن أهل التأويل وخلاف ظاهر التلاوة² .

والذي ذهب إليه ابن -جرير رحمه الله- هو الأقرب إلى الصواب؛ إذ ليس هناك معنى لتقدير مضاف محذوف .

وقد أعربها بعضهم ظرفاً، وليس المعنى عنده بأنّ المواعدة حصلت في الأربعين، بل المعنى أمراً كائناً في الأربعين³، فالأربعون أيضاً على هذا كلها ميعاد.

¹ - البحر المحيط ، أبو حيان، 357/1 .

² - جامع البيان، ابن جرير الطبري، 666/1-667 .

³ - ينظر: روح المعاني، الألوسي، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان،(دط)، (دتا) ، 1 / 259 .

يقول ابن عطية: « وكل المفسرين على أن الأربعين كلها ميعاد »¹

ومواعدة المولى عز وجل لنبيه موسى عليه السلام نعمة في حد ذاتها على بني إسرائيل وامتنان عليهم بنزول شريعتهم في هذه الأيام، وقد ذكّرهم موسى عليه السلام هذه النعمة في سورة طه فقال: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ﴾²، قال محمد الأمين الشنقيطي: « وأظهر الأقوال عندي في المراد بهذا الوعد الحسن: أنه وعدهم أن ينزل على نبيهم كتابا فيه كل ما يحتاجون إليه من خير الدنيا والآخرة. وهذا الوعد الحسن المذكور هنا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ بِنِجَابِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾³ . ولكن يبقى هنا السؤال لماذا ذكر المولى عز وجل هذه المواعدة مجملة في سورة البقرة، وفصلها في سورة الأعراف؟

لقد كان الإجمال هو المناسب لسياق سورة البقرة، ذلك أنّ المقصود من سياق القصة في هذه السورة كلّ هو تعداد النعم على اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم استجلابا لهم للدخول في هذا الدين، ولم يكن للتفصيل غرض هنا ، يقول الزركشي: « فإن قلت: فلم ذكر في هذه السورة أعني الأعراف الثلاثين ثم العشر وقال في البقرة: (وَإِذْ وَاوَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ولم يفصل العشر منها؟ والجواب - والله أعلم - أنه قصد في الأعراف ذكر صفة المواعدة والإخبار عن كيفية وقوعها فذكرها على صفتها، وفي البقرة إنّما ذكر الامتنان على بني إسرائيل، بما أنعم به عليهم فذكر نعمه عليهم مجملة »⁵.

ويقول البقاعي: « وأجمل الأربعين في البقرة، لأنّ المراد بذلك السياق تذكيرهم بالنعم الجسام

والمّت إليهم بالإحسان والإكرام، ليكون ذلك أدعى إلى رجوعهم إلى الإيمان، وأمكن في نزوعهم عن

1 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بن عطية، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (ط1): 1422هـ/ 2001.

2 - سورة طه، الآية: 86 .

3 - سورة طه، الآية: 80.

4 - العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الشنقيطي، تح: خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم (دط)، (دتا)، 535/4 .

5 - البرهان في علوم القرآن ، الزركشي: 479 / 2 .

الكفر»¹.

فكان التذكير في البقرة بنهاية الأمر على ما تمت به النعمة وكمل به الفضل عليهم بتمام ذلك

لنبيهم موسى عليه السلام كلیم الله، وكانت هذه الأربعون كلها ميعادا كما سبق بيانه في إعرابها وكلها نعمة. وأما تفصيل أيام المواعدة في سورة الأعراف فلم يبيّن لنا الزركشي والبقاعي في كلامهما السابق وجه ذلك إلا ما أشار إليه الزركشي من أنه قصد في ذلك صفة المواعدة والإخبار عن كيفية وقوعها، ونحن نوافق على ذلك إلا أنّ هذا غير كاف لبيان سر اختصاص سورة الأعراف بهذا التفصيل .

ووجه ذلك- والله أعلم- أنّ الله عزّ وجلّ قد ابتلى بني إسرائيل وفتنهم كما هي سنتة الله الماضية

سبحانه وتعالى في عباده، وسورة الأعراف معنية بذكر هذا التفصيل والابتلاء في مواقف متعدد والذي

كانت نتيجته العصيان والشدة والقسوة، فكان الشأن هنا أن الوعد بالثلاثين هو ما اطلعوا عليه من أمر نبيهم عليه السلام بادئ الأمر ولم يعلموا ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْ إِتْمَامِ الْمَوْعِدِ إِكْرَامًا لَهُمْ لَوْ صَبَرُوا، فَكَانَ عَصِيَانَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ بَعْدَ مَضِيِّ الثَّلَاثِينَ²، قال ابن عباس: « قال موسى لقومه: إنّ ربي وعدني ثلاثين ليلة، فلما فصل إلى ربه زاده عشرًا، فكانت فتنتهم في ذلك العشر»³.

فقد بيّن تفصيل هذه المواعدة عصيانهم وكفرهم بالمولى عز وجل وذلك بأنهم فُتِنُوا فِي تِلْكَ الْعَشْرِ وَعَبَدُوا الْعَجَلَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي الْحَالِ شَبَهَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْعَصَاةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَيْنَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الشَّرْكِ وَالضَّلَالِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَلِهَذَا كَانَ ذَكَرَ تَفْصِيلَ هَذِهِ الْمَوْعِدَةِ هُوَ الْأَنْسَبُ لِلخَطَابِ الْمَكِّيِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

¹ - نظم الدرر، البقاعي، 8/ 75 .

² - ينظر: دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي في قصة موسى، فهد شتوي بن عبد المعين الشتوي، ص: 200 .

³ - زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي، (ط1): 1404هـ/ 1984م، 3/ 255 .

المقطع الثاني:

قال تعالى في البقرة: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57) وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59) وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

وفي الأعراف قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (159) وَقَطَعْنَا لَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (160) وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (161) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾

بيان لمواضع التشابه في المقطعين:

سورة البقرة	سورة الأعراف
وَإِذْ قُلْنَا	وَإِذْ قِيلَ
ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ	اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ
فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ	وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا	وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
حَطَايَاكُمْ	حَطِيبَاتِكُمْ
وَسَنزِيدُ	سَنزِيدُ
فَأَنْزَلْنَا	فَأَرْسَلْنَا
يَفْسُقُونَ	يَظْلِمُونَ
فَأَنْفَجَرْتْ	فَأَنْبَجَسَتْ

الموضع الأول: اختلاف الصيغة الصرفية:

1- البناء للفاعل والبناء لما لم يسم فاعله:

ففي البقرة (وَإِذْ قُلْنَا)، وفي الأعراف: (وَإِذْ قِيلَ)، فقد أسند الفعل في البقرة إلى الله وبصيغة الجمع، «وصيغة الجمع تفيد التعظيم»¹؛ لأنّ هذا هو المناسب لسياق تعداد النعم فيها، قال السيوطي: «قال هنا: (وَإِذْ قُلْنَا)، وفي الأعراف: (وَإِذْ قِيلَ)؛ لأنّ البقرة في معرض تعداد النعم فناسب نسبة القول إليه تعالى، بخلاف آية الأعراف فإنّها افتتحت بتوبيخهم فناسب ذلك: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ)،»².

وقد أرجع الرازي إسناد القول إلى الفاعل في سورة البقرة إلى سببين³:

الأول: إزالة الإبهام؛ فلا يبقى في قوله: (وَإِذْ قِيلَ) إبهام بعد التصريح به في البقرة .

الثاني: السياق اللغوي السابق في التركيب، وهو تقدم ذكر النعم ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ادْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ فناسب التصريح بالفاعل وإذا قلنا بنسبة القول إلى الله عزّ وجل.

أمّا آية الأعراف فقد زال الإبهام الحاصل بعد تقديم التصريح بالفاعل في آية البقرة، فكان المناسب بناء الفعل لما لم يسم فاعله، وتابعه على ذلك النيسابوري⁴، وأبو حيان⁵.

وميل ابن جماعة لتحليل الرازي، إلا أنه أضاف: أن آية الأعراف جيء فيها بصيغة الفعل لما لم يسم فاعله؛ لما تقدّم من تعريفهم وتوبيخهم في قوله تعالى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا هُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ثم توبيخهم على فعلتهم في اتخاذهم العجل⁶.

¹ - العذب النمير، الشنقيطي، 107/1 .

² - قطف الأزهار في كشف الأسرار، جلال الدين السيوطي، تح: أحمد بن محمد الحمادي، إدارة الشؤون الإسلامية - الدوحة، (ط1): 1414هـ/1994م، 257/2 .

³ - مفاتيح الغيب، الرازي، 92/3 .

⁴ - غرائب القرآن وروائب الفرقان، القمي النيسابوري، تح: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1): 1996م، 324/1.

⁵ - البحر المحيط، أبو حيان، 364/1 .

⁶ - كشف المعاني، ابن جماعة، ص: 97 .

وإذا نظرنا إلى الصيغة "قِيلَ" محل التحليل لوجدنا أنّ مقصود الآية هو: التّنبية على فعلتهم الشّنيعة التي خالفوا فيها أمر الله بدخول مصر ساجدين، ووقوعهم في الكفر، وإعراضهم عن شكر الله تعالى، واتّخاذهم العجل إلهًا من دون الله سبحانه، فوَجَّهَهُم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ووصفهم بالجهل إنكم قوم تجهلون. وليس المقصود: الاهتمام بالفاعل والتّصريح به كما يرى الرازي؛ لأنّ الغاية هي البنية الإخباريّة لا البنية اللفظية في مقامها الأوّل¹.

وحذف الفاعل للاهتمام بوقوع الحدث ملحظ دلالي تردد كثيرًا في ظاهرة البناء للمفعول، وقد فطن إلى ذلك ابن جنيّ في معرض توجيهه لبناء الفعل للمفعول² في قوله عز وجل: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾³، حيث قال: «... فإذا ثبت بهذا كلّ قوة عنايتهم بالفضلة حتى ألغوا حديث الفاعل معها، وبنوا الفعل لمفعوله فقالوا: ضَرَبَ زَيْدٌ - حَسُنَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ لما كان الغرض منه أنّه قد عرفها وعلمها، وأنس - أيضًا - علم المخاطبين بأنّ الله تعالى هو الذي علّمه إيّاها بقراءة من قرأ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾⁴، وقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾⁵... فقد علم أنّ الغرض بذلك في جميعه أنّ الإنسان مخلوق مخلوق ومضعوف، وكذلك قولهم: ضَرَبَ زَيْدٌ، إنّما الغرض منه أن يُعلم أنّه منضرب وليس الغرض أن يعلم مَنْ الذي ضربه، فإن أريد ذلك، ولم يدل دليل عليه فلا بد أن يذكر الفاعل فيقال: ضَرَبَ فُلَانٌ زَيْدًا، فإن لم يفعل ذلك كَلَّفَ عِلْمَ الْغَيْبِ»⁶.

ويقول ابن جني في موضع آخر: «إِنَّ الْفِعْلَ إِذَا بُنِيَ لِلْمَفْعُولِ، لم يلزم أن يكون ذلك للجهل بالفاعل، بل يُعْلَمُ أَنَّ الْفِعْلَ قَدْ وَقَعَ بِهِ، فيكون المعنى هذا لا ذكر الفاعل، ألا ترى إلى قول الله

¹ - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 420/1 .

² - قرأ بها اليماني ويزيد البربري، ينظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبي الفتح ابن جني، تح: علي النجدي ناصف وآخرون،، القاهرة، (دط) 1414هـ/ 1994م، 66/1 .

³ - سورة البقرة، الآية: 31 .

⁴ - سورة المعارج، الآية: 19 .

⁵ - سورة النساء، الآية: 28 .

⁶ - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبي الفتح ابن جني، 66/1 .

تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾¹ ، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ﴾² ، وهذا مع قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾³ ، وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾⁴ فالغرض في نحو هذا المعروف: الفاعل إذا بُي للمفعول إنما هو الإخبار عن وقوع الفعل به حسب، وليس الغرض فيه ذكْر من أوقعه به فاعرف ذلك «⁵.

وتفطنت الدكتورة بنت الشاطئ للقيمة الجماليّة التي أدركها ابن جنيّ في معرض حديثها عن ظاهرة الاستغناء عن الفاعل وبناء الفعل للمفعول، إذ هداها البيان القرآني في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ* وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾⁶ ببناء الأفعال نفخ وحملت ودكتا للمفعول إلى أنّ أطراد هذه الظاهرة في موقف البعث والقيامة يُنبّه إلى أسرار بيانيّة وراء ضوابط الصنعة البلاغيّة وإجراءات الإعراب الشكليّة. ثم رأّت أنّ بناء الفعل للمفعول والاستغناء عن ذكر الفاعل فيه تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه⁷.

وأما السامرائي فقد ذهب في توجيهه لهذا الموضوع إلى أنّ القرآن الكريم يسند الفعل إلى الله سبحانه في مقام التشريف والتكريم ومقام الخير العام والتفضيل بخلاف الشر والسوء فإنّه لا يذكر نفسه تنزيها له عن فعل الشر وإرادة السوء، وما كان سوءا في ظاهره فإنّه يحمل في باطنه نعمة، ويمثل لذلك بعدّة أمثلة منها⁸:

¹ - سورة النساء، الآية: 28 .

² - سورة الأنبياء، الآية: 37.

³ - سورة ق، الآية: 16 .

⁴ - سورة العلق، الآية: 02 .

⁵ - المصدر السابق، 135/1 .

⁶ - سورة الحاقة، الآية: 13 - 14 .

⁷ - ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، 81/1.

⁸ - التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، 315.

- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُفُوسًا ﴾¹ ففي النعمة أظهر نفسه فقال: (أَنْعَمْنَا) وفي الشر قال: (وَإِذَا مَسَّهُ) ولم يقل: (مسناها) .
- وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾² يَشْفِينِ² ولم يقل: (أمرضني) فنسب المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى .
- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾³ فأسند تزيين الإيمان في القلوب إلى ذاته سبحانه . وقال: ﴿ زَيَّنَ لِلنَّاسِ حُبَّ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾⁴ ، فبني تزيين حب الشهوات للمجهول ولم ينسبه إلى نفسه . وقال: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾⁵ ، وقال: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾⁶ ، وقال: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾⁷ فأسند هذا التزيين الحسن إلى ذاته .
- في حين قال: ﴿ زَيَّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾⁸ وقال: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِقَوْمٍ لَفِرَعُونَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾⁹ وقال: ﴿ زَيَّنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾¹⁰ فلم يسند السوء إلى نفسه عز وجل .

1 - سورة الإسراء، الآية: 83 .

2 - سورة الشعراء، الآية: 78،79،80 .

3 - سورة الحجرات، الآية: 7 .

4 - سورة ال عمران، الآية: 14 .

5 - سورة الصافات الآية: 6 .

6 - سورة الملك، الآية: 5 .

7 - سورة الحجر، الآية: 16 .

8 - سورة البقرة، الآية: 212 .

9 - سورة غافر، الآية: 37 .

10 - سورة التوبة، الآية: 37 .

• وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾¹ ، في مقام الذم.

ثم يقول السامرائي: - بعد هذا البيان - « فبنى القول للمجهول في الأعراف ولم يظهر نفسه لأنهم لا يستحقون هذا التشريف وهو نحو قوله تعالى: (ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) و(أوتوا الكتاب) »².

وعليه يمكن أن نقول: أن المولى عز وجل أسند الفعل إلى نفسه في سياق تعداد النعم والذي كان من غرضه دعوة اليهود واستجلابهم للدخول في الدين الإسلامي، وذلك لما فيه من بيان عنايته سبحانه بأسلافهم ومزيد فضله عليهم وهذا ظاهر جدًا³.

وأما في سورة الأعراف فقد بني الفعل لما لم يسم فاعله، « وإيراد الفعل هنا مبنيًا للمفعول جريا على سنن الكبرياء »⁴ وهذا هو المناسب لسياقها والذي هو معني ببيان كفرهم وعصيانهم وعدم امتثالهم لأمر ربهم والإتيان بما أمروا به، ولهذا فقد جاء الفعل بالصيغة التي تشعر بالسخط عليهم وترك العناية بهم قال البقاعي: « وعبر هنا بالمجهول في "قيل" إعراضا عن تلذيزهم بالخطاب إيدانا بأن هذا السياق للغضب عليهم بتساقطهم في الكفر وإعراضهم عن الشكر »⁵. وفي هذا أيضا تحذير وزجر للمعرضين على أن تحلّ بهم القوارع التي حلت بالماضين⁶، والله أعلم.

2- جمع السلامة وجمع التكسير:

فقد عبر في البقرة بجمع التكسير (خَطَايَاكُمْ) وفي الأعراف بجمع إناث سالم (خَطِيئَاتِكُمْ)، ومعلوم أن هذه الصيغة من جمع التكسير هي جمع كثرة، وجمع المؤنث السالم جمع قلة، كما أنه من

¹ - سورة الجمعة، الآية: 5 .

² - التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي 317.

³ - ينظر: كشف المعاني، ابن جماعة، ص: 102 .

⁴ - روح المعاني، الألويسي، 88 / 9 .

⁵ - نظم الدرر، البقاعي، 135 / 8 .

⁶ - ينظر المصدر نفسه، 78 / 8 .

المعلوم أنّ جمع القلة يدل على الثلاثة فما فوقها إلى العشرة، وجمع الكثرة يدل على ما فوق العشرة إلى غير نهاية*.

ربط الخطيب الإسكافي¹ بين موضع البقرة مكسراً، وموضع الأعراف سالماً، فخصّ الصيغة الأولى بالتكسير؛ لأنّ الله سبحانه أخبر في هذه الآية عن نفسه بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ فلما أسند الفعل إلى نفسه سبحانه ناسب أن يذكر الخطايا التي تدلّ على الكثرة؛ إشارة إلى أنّ الله بجوده وكرمه يغفر الخطايا الكثيرة، ولما لم يُسند الفعل إلى نفسه في آية الأعراف، ولم يُسم الفاعل فقال: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ أتى بلفظ خطيئات التي هي جمع مؤنث سالم للقلة فجاء كلُّ على ما يناسب، وتابعه على ذلك: الكرمانى²، والرّازي³.

ولم يرتض الألوّسي اعتماد الإسكافي على السياق اللغوي في بيان وجه الجمع بين التّكسير، والسّالم المتمثل في إذ قلنا و إذ قيل حيث ذكر بأنّه وإن ورد في الأعراف وإذ قيل لكنّه جاء في السّورتين نغفر لكم بإضافة الغفران إلى نفسه سبحانه، ولا شك أنّ رعاية سياق نغفر لكم أولى من رعاية وإذ قيل لهم؛ لتعلق الغفران بالخطايا؛ فعلى هذا التّوجيه كان ينبغي أن يذكر جمع الكثرة الخطايا كذلك في الأعراف. وكأنّ الألوّسي يشير إلى أنّ السّياق وحده هو الحكم في التّفريق بين مدلولي القلة والكثرة بعيداً عن مجازة اللّغويين لتقسيم الجموع إلى كثرة وقلة، إلاّ أنّه عاد بعد تحليله للصّيغتين وذكر أنّ هذه المغايرة ما هي إلا من باب التّفنن في التّعبير حيث قال: «وبالجملّة التّفنن في التّعبير لم يزل دأب البلغاء وفيه من الدّلالة على رفعة شأن المتكلم ما لا يخفى، والقرآن الكريم مملوء من ذلك»⁴.

* - جموع القلة من جمع التكسير لها أربعة أبنية: أفعال، أفعلة، فعلة، وما عاداها جمع كثرة غالباً، وأما جمعي السلامة فهما جمعا قلة، ينظر: البحر المحیط في أصول الفقه، الرزكشي، تح: عبد الله العاني، (ط2) 1413هـ/1992م، 90/3.

¹ - درة التنزيل، الإسكافي، 236/1.

² - البرهان في متشابه القرآن، الكرمانى، ص: 73.

³ - التفسير الكبير، الرّازي، 99/3.

⁴ - روح المعاني، الألوّسي، 269/1.

ويقول أبو حيان: « هنا " خطاياكم " وهناك " خطيئاتكم " وأجيب بأنّ الخطايا جمع كثرة فناسب حيث قرن به ما يليق بجوده، وهو غفران الذنوب الكثير والخطيئات جمع قلة لما لم يضاف ذلك إلى نفسه ¹ .

وأما ابن الزبير فقد اعتمد على سياق الحال في توجيهه للتغاير بين الصيغتين فقال: « ورد جمعها في البقرة مُكسراً؛ ليناسب ما بنيت عليه آيات البقرة من تعداد النعم والآلاء...؛ لأنّ جموع التّكسير ما عدا الأربعة أبنية: أَفْعَلٌ، وَأَفْعَالٌ، وَأَفْعَلَةٌ، وَفَعْلَةٌ، إنّما ترد في الغالب للكثرة فطابق الوارد في البقرة ما قُصد من تكثير الآلاء والنعم، وأما الجمع بالألف والتاء فبابه القلة في الغالب أيضاً، ما لم يقتزن به ما يبيّن أنّ المراد به الكثرة، فناسب ما ورد في الأعراف من حيث لم تُبنّ أيّها من قصد تعداد النعم على ما بنيت عليه آي البقرة، فجاء كل على ما يناسب والله أعلم ² .

وعبارة ابن الزبير: " وأما الجمع بالألف والتاء فبابه القلة، ما لم يقتزن به ما يبيّن أنّ المراد به الكثرة " عبارة على بساطتها ووجازتها خطيرة الأبعاد في دلالتها النافذة على دور السّياق في التّفريق بين مدلولي القلة والكثرة، فالعرب قد يجمعون بالألف والتاء، وهم يريدون الكثرة، وهذا ما ذكره سيبويه ³، ونقله ابن جني ⁴ .

فإذا سلّمنا بأنّ ثمّ جموعاً للكثرة، وأخرى للقلة مجازة للّغويين فهم أنفسهم يُقرّرون حينما اصطدموا بالتّصوص أنّ: «جموع القلة إذا تعرّفت بالألف واللام غير العهدية أو أضيفت، عمّت وصارت لا تخصّ القليل والعام المستغرق لجميع الأفراد» ⁵ .

¹ - البحر المحيط، أبو حيان، 330/1 .

² - ملاك التأويل، ابن الزبير، 207 / 1

³ - الكتاب، سيبويه: 578/3 .

⁴ - الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (دط) (دت)، 206/2 .

⁵ - البحر المحيط، أبو حيان، 98/1 .

يقول محمد الأمين الشنقيطي: « فالتحقيق ما حرره علماء الأصول في مبحث التخصيص من أن جمع القلة وجموع الكثرة لا يكون الفرق بينها ألته إلا في حال التنكير، أما في التعريف فإن الألف واللام تفيد العموم، والإضافة إلى المعارف تفيد العموم وما صار عامًا استحال أن يقال هو جمع قلة؛ لأن العموم يستغرق جميع الأفراد»¹

وقد «استدل للذي عليه أكثر العلماء، والصحيح عنهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم في " السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" رواه البخاري ومسلم فقد اكتسب جمع المذكر السالم وهو من جموع القلة العموم بعد تعريفه كما هو نص الحديث»².

وعليه فإن اختصاص آية الأعراف بجمع القلة غير وارد هنا لأنها عرفت بالإضافة والذي يعضد هذا ورود قراءة على جمع الكثرة وهي قراءة أبي عمرو، لكن يبقى سؤال وهو: إذا كان الجمعان متفقين على إفادة الكثرة فما السبب إذًا في التعبير بالصيغتين، وهلا كان الاكتفاء بأحدهما؟ إن هذا لا يظهر حتى يتبين لنا الأصل الذي يرجع إليه معنى الجمع السالم، والأصل الذي يرجع إليه معنى الجمع المكسر.

يقول السهيلي رحمه الله: « وسر المسألة أنك إذا جمعت وكان القصد إلى تعيين آحاد المجموع، والمخبر معتمد على كل واحد منهم في الإخبار، سلم لفظ بناء الواحد في الجمع كما سلم معناه في القصد إليه، فقلت: " فعلوا" أو هم "فاعلون" وأكثر ما يكون هذا فيمن يعقل... ولذلك جاءت جموع التكسير مغيرا فيها بناء الواحد، وجارية في الإعراب بالحركات مجرى الواحد حيث ضعف اعتمادهم على كل واحد بعينه، وصار الخبر كأنه عن الجنس الكثير الجاري في لفظه مجرى الواحد، ولذلك جمعوا ما قل فيه العدد من المؤنث جمع السلامة، وإن كان مما لا يعقل، كقولهم الثمرات والصالحات، إلا أنهم لم يجمعوا المذكر منه- وإن قل عدده- إلا جمع التكسير؛ لأنهم في المؤنث لم

¹ - العذب النمير، الشنقيطي، 96/1.

² - شرح الكوكب المنير، أبو البقاء، تح: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان (ط2) 1418هـ/1997م، 131/3.

يزيدوا غير " ألف " فرقا بينه وبين الواحد، وأما " التاء " فقد كانت موجودة في الواحد أو في وصفها؛ فإن كثر جمعه جمع تكسير كالمذكر»¹.

ويعلق الباحث فهد الشتوي على كلام السهيلي فيقول: «وعندي أن ما لا يعقل الذي جمع سلامة وقد عُرِّفَ يخرجُه تعريفه عن جمع القلة، ولكن يبقى قصد تعيين الآحاد غرضًا لا يعارضها زوال معنى القلة فيكون غير العاقل الذي جُمع جمع سلامه وقد عُرِّفَ معاملةً من يعقل من قصد التعيين آحاده، ويتبين ذلك بأمور:

أحدهما: أن القلة باتت غير مقصودة مع التعريف، فلا بد أن يبقى معنى التعيين، وهو معنى لا يزول بزوال معنى القلة.

الثاني أن العدول في الكلام البليغ المراد به الكثرة عن الجمع الذي أصله لها إلى ما أصله جمع قلة، حين لا نرى هناك غرضًا لفظيًا لهذا العدول، دلالة واضحة على أن هناك قصد من وراء هذا العدول، وليس هو إلا المعنى الثاني لجمع السلامة وهو قصد التعيين»².

ويضاف إلى ذلك أيضا ما نحن بصدد من المتشابه، فإنه قد وردت صيغة جمع الكثرة وصيغة جمع القلة كلاهما معرفتان، وفي قصة واحدة، لكنهما في سياقين مختلفين، فيبعد أن لا يكون لهذه المغايرة أي غرض، لاسيما وأن هذه المغايرة ليس لها أي غرض لفظي.

ومن خلال ما تقدم ذكره وبيانه يظهر لنا سر هذا التغاير بين الصيغتين؛ إذ أن التعبير بجمع التفسير في آية البقرة المدنية جاء موافقا لسياق تعداد النعم والآلاء وذلك بغفران الذنوب الكثيرة كما سبق.

¹ - نتائج الفكر في النحو، السهيلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان (ط1) 1412هـ/ 1992م، ص: 152.

² - دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي، فهد شتوي، 219.

وأما في آية الأعراف فقد ورد جمع السلامة معرفاً للدال على الكثرة أيضاً ليفيد بقاء القصد إلى تعيين آحاد المجموع كما بينا والتعبير بهذه الصيغة له فائدتان:

- الأولى: إفادة كثرة ذنوبهم، على ما يفيد التعريف، ثم إن المغفرة إنما تكون لبعض تلك الذنوب وليس غفران كل الذنوب كما في البقرة.

- الثانية: تذكيرهم بأعيان ذنوبهم التي يعرفونها على كثرتها، وفي تذكيرهم بأعيانها شدة التقرع لهم، وإظهار المعالجة لهم من ربه، والتي يقابلها شدة عصيانهم.

وبهذا يتبين لنا أن لفظ الخطيئات جاء موافقاً لسياق سورة الأعراف والذي يدل على أن بني إسرائيل قد اترفوا خطيئات كثيرة وعصوا المولى عز وجل، ثم بينت هذه الصيغة أن الغفران يكون لبعض تلك الخطيئات وليس كلها وهذا دليل على شناعة مرتكبهم وخطئهم والتي كان من بينها الشرك بالله عز وجل، وفي هذا تحذير ظاهر للمشركين من أهل مكة على أن يحل بهم ما حل ببني إسرائيل لتماديهم في الكفر والضلال وعبادة غير الله، والله أعلم.

الموضع الثاني: الإبدال:

1- إبدال كلمه بكلمة:

• (ادْخُلُوا) (اسْكُنُوا)

ففي البقرة عبر بمبدأ الشيء وهو الدخول وأما في الأعراف فعبّر باللفظ الدال على الغاية من الدخول وهو السكن، فما وجه ذلك؟

علل الرازي اختصاص البقرة بالدخول والأعراف بالسكن فقال: «الدخول مقدم على السكن، ولا بد منهما، فلا جرم ذكر الدخول في السورة المتقدمة، والسكون في السورة المتأخرة»¹

¹ - التفسير الكبير، الرازي، 99/3.

وقال ابن الزبير: « إنَّ أمرهم بدخول القرية مغاير من حيث المعنى لأمرهم بسكناها، وإن كان الأمر بدخولهم قد يشير بما نسق معه إلى سكناها لكن ليس نصًّا ولا ظاهر فبينت آية الأعراف ذلك وأوضحت المقصود، وحصل الأمران بالدخول والسكنى وتبين وجه ورود العبارتين على الترتيب»¹؛ أي ترتيب المصحف.

وردّ الألوسي هذا التعليل ورأى أن هذا إنما يصلح إذا كانت البقرة متقدمة على سورة الأعراف نزولاً، ومعلوم أنّ سورة الأعراف أسبق في النزول من سورة البقرة².

وأما ابن عاشور فقال: « عبّر في هذه الآية - آية الأعراف - بقوله: " اسكنوا" وفي سورة البقرة بقوله: " ادخلوا" لأنّ القولين قيلاً لهم؛ أي قيل: لهم ادخلوا واسكنوها. ففرّق على القصتين على عادة القرآن في تغيير أسلوب القصص استجدادا لنشاط السامع»³.

وفي رأبي أن التوجيهات السابقة لم تكن مقنعة، فهي أقرب إلى التوجيه العام من التحليل الموضوعي الدقيق الذي يكشف عن السر في كل ظاهرة من ظواهر التعبير.

وإذا نظرنا إلى السياق الذي وردت فيه كل لفظة يتجلى لنا سر هذا التغير؛ إذ إن السياق في سورة البقرة هو التذكير بتلك النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، وسرد الأحداث دونما تفصيل، استدعى تحيّر اللفظ: (ادخلوا)؛ ذلك أنّ الأمر في بدايته يتضمن الدخول، ودخول الأرض المقدسة نعمة في حد ذاتها⁴، وأما التفصيل في حكمة الدخول ومتطلباته فإنّه من اختصاص سورة الأعراف المفصّلة والمؤرّخة للأحداث، فالسكون الذي تهدف إليه سورة الأعراف هو امتثال أمر الله تعالى، وإقامة الأحكام والشرائع، وبناء دولة تحكم بمنهاج رب العالمين، ولن تحقق هذه السكينة ما لم تنتظم

¹ - ملاك التأويل، ابن الزبير، 204/1 .

² - روح المعاني، الألوسي، 268/1 .

³ - التحرير والتنوير، 144/9 .

⁴ - ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 162/6 .

أمور الناس ضمن منهج الله تعالى، فلما كان الأمر في الأعراف يهدف إلى التفصيل والتأريخ نزع إلى ذكر (اسكنوا) لما يؤول إليه هذا الفعل من تحقيق منهج الله، وإقامة هديه.

• (فَأَنْزَلْنَا) (فَأَرْسَلْنَا)

وليس لفظ الإنزال في الأصل مما يقال عنه إنه مرادف للإرسال، بل لكل من اللفظين معناه، ولكنهما قد اشتركا هنا في التعبير عن موضوع واحد، ولا بد من النظر أولاً في معنى كل لفظ قبل دخوله في سياقه.

والنزول في اللغة كما سبق تعريفه يدل على الهبوط من علو¹.

وأما لفظ الإرسال فقد قال فيه ابن فارس - رحمه الله - « رسل، الرء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد »².

وقال الراغب - رحمه الله - « أصل الرّسل: الانبعاث على التّؤدة... الرّسل من الإبل والغنم: ما يسترسل في السير، يقال: جاءوا أرسالاً؛ أي: متتابعين، والرّسل: اللبن الكثير المتتابع الدر»³.

والامتداد الذي ذكره ابن فارس قد يكون هو التابع الذي ذكره الراغب، وقد يكون معناه الطول، فهو يرجع إلى التابع.

فهذا فيما يخص المعنى اللغوي الذي تدل عليه لفظتا الإرسال والإنزال، وأما ما ورد من توجيهات للعلماء في هذا الموضوع فنجملها في ما يلي:

يرى ابن الزبير الغرناطي أنّ مفهوم الإرسال أعم من مفهوم الإنزال، إذ أنّ الإنزال لا يقتضي الانسحاب والتعميم، بخلاف الإرسال ولذلك فإنّ الإرسال هو المناسب لقوله: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ) لما

¹ - ينظر، مدخل هذا البحث، ص: 8.

² - مقاييس اللغة، ابن فارس، ص: 402.

³ - المفردات، الأصفهاني، 352-353.

في الآية من العموم بخلاف قوله: (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) حيث خص إنزال العذاب بالظالمين منهم، بينما لم يرد هذا التفصيل مع الإرسال بل عممه بقوله عليهم¹.

وقد أخذ بهذا ابن جماعة فقال: « وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم والإرسال أشد وقعا من الإنزال»².

ويرى الكرمانى أنّ سبب ذكر "أرسلنا" في الأعراف هو أنّ لفظ الرسالة والرسول قد كثر في الأعراف فجاء ذلك وفقا لما قبله³. وهو رأي لا يصل إلى قوة رأي ابن الزبير ومن تبعه. على أنّ الرازي قد ذكر تفرقة أخرى بين الإنزال والإرسال حيث قال: « الإنزال يفيد حدوثه في أول الأمر، والإرسال يفيد تسلطه عليهم واستئصاله لهم بالكلية»⁴.

وأما الزمخشري فيرى أنّه لا فرق بين أرسلنا وأنزلنا بل هما من باب واحد⁵ وتابعه أبو حيان⁶.

وعلل السامرائي مجيء الفعل أرسل في الأعراف بسبب⁷:

- الأول: أنّ الإرسال أشد عقوبة من الإنزال، قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾⁸، فناسب فناسب سياق ذكر النعمة في البقرة.
- الثاني: كثرة تردد الفعل أرسل في الأعراف دون البقرة، وهو رأي الكرمانى السابق.

إن ما ذهب إليه السامرائي والكرمانى من سبب اختيار فعل أو اختيار لفظ ما بالموضع الذي

نزله بسبب ترده في السياق والسورة التي نزل فيها لا أراه توجيهها لائقا، حيث إن علة تردد اللفظ

¹ - ينظر ملاك التأويل، ابن الزبير، 207/1.

² - كشف المعاني ابن جماعة، ص: 98.

³ - البرهان في متشابه القرآن، الكرمانى، ص: 74.

⁴ - تفسير الفخر الرازي، 100/3.

⁵ - الكشاف، الزمخشري، 99/2.

⁶ - البحر المحيط، أبو حيان، 409/4.

⁷ - التعبير القرآني، السامرائي، 321.

⁸ - سورة الفيل، الآية: 03.

هنا أو هنالك أكثر أو أقل، لا يميل الباحث إلى جعلها سببا أساسيا في التوجيه، إذ ليس هناك حكمة في أن يلجأ الناظم لتردد لفظ ما في موقع ما دون الآخر، بحجة أن هذا اللفظ قد تردد في سياق هذا الموضوع أكثر من تردده في السياق الآخر، علما أننا نجمع على أن التكرار في أكثره- ما خلا النظم القرآني- مذموم ونتجنبه، فلماذا نجعل الآن التكرار علة وسببا وجيها لذكر اللفظ فنقول أن هذا اللفظ تكرر في هذه السورة أكثر من تلك فهو أنسب لها في موضعه¹.

وعلى الرغم من وجهة رأي الرازي وابن الزبير وابن جماعة في تعليلهم لهذا الموضوع وأن ذلك يعد خطوة مهمة في التوجيه إلا أنه غير كاف لتعليل الظاهرة، ولذلك ارتأيت أن أبذل ما في وسعي وأقدم توجيه لهذا الموضوع معتمدا في ذلك على السياق فنقول: إن لفظ الإنزال هو المناسب لسياق البقرة، وذلك لما فيه من معنى الهبوط من العلو كما سبق، وفي هذا بيان لمنشأ العذاب، وهو أنه من عند الله تعالى، ثم تخصيصه بالظالمين منهم دون غيرهم وهم الذين بدلوا قول الله عز وجل، ما لا يخفى من التهيب والزجر للمخاطبين وتحذيرهم من مخالفة أمر الله واتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما سورة الأعراف فقد ذكر فيها لفظ الإرسال وهو المناسب لسياقها والذي كان معني بالتأريخ لقصة بني إسرائيل وتفصيل حالهم وعصيانهم، ولما كان الأمر كذلك نزع إلى التعبير بالفعل أرسل الذي يدل على تتابع العذاب وتسارعه عليهم بسبب كثرة ذنوبهم، وفي بيان استمراره بيان لشدة عتوهم وتجبرهم، كما أن لفظ الإرسال قد عدي بـ (على) لفيد تضمين الفعل معنى فعل آخر وهو الإنزال²، فيكون بهذا قد أبان شدة العقوبة ببيانه منشأ العذاب. والله أعلم.

• (يَفْسُقُونَ) (يَظْلِمُونَ)

وهنا أيضا لابد من الرجوع إلى المعنى اللغوي للفظتي الفسق والظلم وذلك حتى نلمس الفرق بينهما.

¹ ينظر: - المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، بين القدامى والحديثين، أحمد الجبالي، 169/2.

² - ينظر: نظم الدرر، البقاعي، 137/8.

فالفسق هو: الخروج عن الطاعة، تقول العرب: فسقت الرطبة عن قشرتها إذا خرجت¹، والفسق الخروج عن الشرع وهو أعم من الكفر؛ ذلك أن الفسق يقع بالقليل من الذنوب والكثير، قال الراغب: «فسق فلان خرج عن حجر الشرع، و من ذلك قولهم: فسق الرطب إذا خرج عن قشره...، والفاسق أعم من الكافر، والظالم أعم من الفاسق»².

وأما لفظ الظلم فقد قال فيه ابن فارس: «ظلم: الظاء واللام والميم أصلان صحيحان: أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر وضع الشيء غير موضعه تعدياً»³.

ويقول الراغب: «والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه...، والظلم يقال في مجاورة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فينا يكثر وفيما يقل من التجاوز، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير، وفي الصغير»⁴.

وبهذا يتبين لنا أن بين الظلم والفسق عموماً وخصوصاً، فالظلم أعم من الفسق من حيث الدلالة إذ أنّ الفسق يدل على مجرد الخروج بينما الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه.

يقول الرازي في توجيه هذا الموضع: «لم قال في البقرة (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) وفي الأعراف (بِمَا كَانُوا يَظْلُمُونَ) الجواب: لما بيّن في سورة البقرة كون ذلك الظلم فسقاً اكتفى بلفظ الظلم في سورة الأعراف لأجل ما تقدم من البيان في سورة البقرة والله أعلم»⁵.

وهذا التوجيه كما نرى يصلح إذا كانت البقرة سابقة في النزول لسورة الأعراف، ثم إنّه حصر معنى الظلم في الفسق والصحيح أنّ الظلم يشمل الفسق وغيره.

¹ - مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (فسق) ص: 846 .

² - المفردات، الراغب الأصفهاني، 636 .

³ - مقاييس اللغة، ابن فارس، 641.

⁴ - المفردات، الراغب الأصفهاني، 537.

⁵ - التفسير الكبير، الرازي، 100/3 .

والأقرب من هذا أن نعود إلى السياق ودوره في تحيّر اللفظ، ففي البقرة يعمد إلى تحيّر اللفظ (يفسقون)؛ ذلك أن لغة الخطاب فيها كانت للمعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم لتذكيرهم بالنعم التي من الله بها على أسلافهم، وتدعوهم إلى الإيمان بالدين الجديد، وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ولما كان ذلك يتضمن معنى التحذير لهم من مخالفة الرسول عليه الصلاة والسلام جيء باللفظ (يفسقون) الذي يتضمن معنى التحذير من الخروج عن طاعته، ومآل هذا الخروج من الغضب واللعنة.

أما في سورة الأعراف، وهي المفصلة والمؤرخة لقصة بني إسرائيل، فقد جاء اللفظ (يظلمون) وهو اللفظ الأعم؛ ذلك أنهم ظلموا أنفسهم، وأساءوا إلى أنبيائهم من قبل وسعوا في الأرض فساداً، وغير ذلك من ألوان الظلم، ثم إن سورة الأعراف، هي الأخرى جاءت لتثبت المؤمنين، ولتحذرهم كذلك من كل سلوك سلكه بني إسرائيل من قبل، والله أعلم.

(فَأَنْفَجَرَتْ) (فَأَنْبَجَسَتْ)

وفي هذا الموضوع أيضاً لا بد من بيان الفروق الدلالية بين الكلمتين وعليه فإننا نقتفي أثرهما من المعاجم فلفظة انفجر من الفجر، « الفجر تَفَجَّرَ الماء والمَفَجَّرَ الموضع يَنْفَجِرُ منه وأنفجر الماء والدم ونحوهما من السيال وتفجَّر انبعث سائلاً وفجره هو يَفْجُرُه بالضم فجرًا فأنفجر أي بجسه فانبجس»¹. أما لفظة انبجس فأصلها بجس جاء في اللسان: « البجس انشقاق في قربة أو حجر أو أرض ينبع منه الماء فإن لم ينبع فليس انبجاس والسحاب يتبجس بالمطر والانبجاس وانبجس الماء أي انفجر».

ويرى صاحب الكليات أن « الانبجاس أكثر ما يقال فيما تفجر من شيء ضيق والانفجار يستعمل فيه، وفيها يخرج من شيء واسع، وما في سورة البقرة لعله انبجس أولاً ثم انفجر ثانياً»².

¹ - لسان العرب، ابن منظور، 3351/38 .

² - الكليات، أبو البقاء، 337/1 .

وكذلك يفرق الراغب الأصفهاني بينهما أيضا فيقول: « كل انبجاس انفجار من غير عكس»¹
فلاحظ أن الانبجاس يدل على خروج الماء بقلّة وأما الانفجار فهو يدل على خروج الماء بكثرة ،
كما أنّ الانبجاس هو بداية الانفجار ومقدمته.

وقد ذهب أبو جعفر ابن الزبير إلى أنّ اختصاص البقرة بآخر الأمر إمّا هو؛ لأنّ طلب موسى
عليه السلام غاية لطلب قومه والانفجار غاية ، فناسب الغاية الغاية، وأما الأعراف فلأنّ طلب قوم
موسى هو ابتداء الطلب والانبجاس ابتداء الأمر فناسب الابتداء الابتداء.²

وقد أشار المفسرون إلى أن الانفجار بدلالته على الكثرة ناسب في آية البقرة لأنها جاءت في
سياق تعداد النعم التي أنعم بها الله على نبيه موسى عليه السلام وعلى قومه، فاستعمل في هذا
الموضع اللفظ المختص بلمح الكثرة والسرعة قال السيوطي: « في البقرة: (فَأَنْفَجَرْتُ)، وفي الأعراف:
(فَأَنْبَجَسْتُ)؛ لأنّ الانفجار أبلغ في كثرة الماء، فناسب سياق ذكر النعم التعبير به»³، أما سياق
استعمال لفظ الأنْبجاس فهو إشارة إلى المعجزة التي أيد الله تعالى بها نبيه موسى وقومه ينظرون إلى
الماء وهو ينبع من الحجر منذ بداية انشقاقه وخروج الماء منه، وقبل أن تعتاد عيونهم رؤية الماء فهم
يشاهدون اللحظة الأولى لخروج الماء من الحجر وتلك لحظة الدهشة والإعجاز. وبهذا فإن عصيان بني
إسرائيل بعد معاينة الآيات، وظهور النعمة، لهو أشد العصيان كما يدل على عليه سياق الأعراف.

وثمة سبب آخر دعا إلى ذكر الانفجار في البقرة والانبجاس في الأعراف، ذلك أنّه قال في البقرة
(كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ) فجمع لهم بين الأكل والشرب، ولم يرد في الأعراف ذكر الشرب فناسب
ذلك أن يبالغ في ذكر الماء في البقرة أما في الأعراف فقد قال تعالى: (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)
فليس فيه اشربوا فلم يبالغ فيه.⁴

¹ - الكلبيات، أبو البقاء، ص: 83 .

² - ملاك التأويل، ابن الزبير، 212/1-213 .

³ - الإقتان، السيوطي، 998/2 .

⁴ - التعبير القرآني، السامرائي، 322-323.

2- إبدال حرف بحرف:

(فَكُلُوا) (وَكُلُوا)

ففي البقرة عطف الأكل بالفاء الدالة على التعقيب والترتيب، بينما في الأعراف فقد عطف بالواو الدالة على مطلق الجمع يقول الإسكافي: « والأصل في ذلك أن كل فعل عطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتداء، وكان الأول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء، فالأصل فيه عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو... فعطف "كلوا" على "ادخلوا" بالفاء لما كان الأكل متعلقا بدخولها، فكأنه قال: إن دخلتموها أكلتم منها، فالدخول موصل إلى الأكل، والأكل متعلق وجوده بوجوده»¹، وتبعه في ذلك ابن الزبير² وأبو السعود³ وأبو حيان⁴.

وقال البقاعي: « ولما خلت نعمة الأكل في هذا السياق عما دعا إليه سياق البقرة من التعقيب والاستعطاف، ذكرت بالواو الدالة على مطلق الجمع»⁵.

فلا شك أن عطف الأكل على الدخول بالفاء أظهر وأكمل في حصول النعمة والمنة لأنه رتبته عليه مباشرة وبلا مهله وكأنه قال: إن دخلتم أكلتم منها على تقدير جواب طلب، ثم بين « أنهم يأكلون رغدا فيتهنون لا يخافون الخروج»⁶، وأما العطف بالواو فلا يفيد ذلك بل هو لمطلق الجمع فقد يطول الزمن ويقصر ولذلك حسن ذكر الواو مع السكن لمقارنتهما زمانا دون الفاء، والله أعلم.

¹ - درة التنزيل، الإسكافي: 222/1.

² - ملاك التأويل، ابن الزبير، 204/1.

³ - إرشاد العقل السليم، أبو السعود، 283/3.

⁴ - البحر المحيط، أبو حيان، 378 / 4.

⁵ - نظم الدرر، البقاعي، 135/8.

⁶ - إرشاد العقل السليم، أبو السعود، 287/3.

الموضع الثالث: التقديم والتأخير:

ففي البقرة: (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً) وفي الأعراف: (وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا)

وقاعدة التقديم والتأخير عند أهل البلاغة هي : تقديم ما العناية به أشد، قال عبد القاهر الجرجاني: « واعلم أنّ لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري جرى الأصل، غير العناية والاهتمام. قال صاحب الكتاب: وهو يذكر الفاعل والمفعول: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم، وهم بيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهتمانهم ويعنيانهم»¹.

والشأن هنا في المتشابه أدق وأعمق، إذ أنّ أهمية التقديم لا بد أن تكون ملحوظة في الشيء وعكسه، وهذا يتطلب دقة النظر وقد لا يهتدي إليه الإنسان أحياناً.

وقد كان للعلماء آراء وتوجيهات لهذا الموضع نذكر منها:

يرى الإسكافي أنّ التقديم والتأخير في هذا الموضع راجع إلى أنّ القرآن الكريم إنّما حكى المعنى

دون اللفظ، ومادام المقصود حكاية المعنى فلا غرابة واكتفى بذلك².

وقال الزمخشري: « فإن قلت: كيف اختلفت العبارة هاهنا وفي سورة البقرة؟ قلت: لا بأس باختلاف العبارتين، إذا لم يكن هناك تناقض، ولا تناقض بين قوله: (اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا)، وبين قوله: (فَكُلُوا)، لأنهم إذا سكنوا القرية فتسبب سكناهم للأكل منها، فقد جمعوا في الوجود بين سكنها والأكل منها، وسواء قدّموا الحطّة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون في الإيجاد بينهما»³.

¹ - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 107 .

² - درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، 1/ 283 .

³ - الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، جار الله الزمخشري، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ: علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، (ط1): 1417هـ/ 1998م، 2/ 523 .

ووافقه أبو حيان¹، وأبو السعود² ونقلًا توجيهه.

ثمَّ أورد أبو حيان تعليل آخر لهذا الموضوع زيادة عمّا نقله عن الزمخشري يقول فيه: « ويمكن أن يقال: ناسب تقديم الأمر بدخول الباب سجّدًا مع تركيب (ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ)؛ لأنّه فعل دال على الخضوع والذلّة، وحطّة قول، والفعل أقوى في إظهار الخضوع من القول، فناسب أن يذكر مع مبدأ الشيء وهو الدخول، ولأنّ قبله " ادْخُلُوا " فناسب الأمر بالدخول للقرية الأمر بابها على الهيئة الخضوع ولأنّ دخول القرية لا يمكن إلّا بدخول بابها فصار باب القرية كأنّه بدل من القرية أعيد معه العامل³ » .

والجزء الأوّل من هذا التوجيه موافق لرأي الكرمانى الذي يرى فيه " أنّ تقديم فعل الدخول على قولهم حطّة في البقرة ؛ لأنّه سبقه فعل الدخول فوق بيان له⁴ .

وأما ابن الزبير الغرناطي فقد ذهب في توجيهه لهذا الموضوع بأن رأى أنّهم قد أمروا بالسجود والقول في آن واحد، ولو لم يكن هناك تقديم وتأخير، لأوهم أنّهم قد أمروا بالسجود والقول منفصلين على أحد احتمالات الواو في عدم الرتبة، يقول: « إنّ قولهم حطّة دعاء أمروا به في سجودهم، فلو ورد في السورتين على حد سواء لأوهم من حيث مقتضى الواو من الاحتمال أنّهم أمروا بالسجود والقول منفصلين، غير مساوق أحدهما للآخر على أحد احتمالات الواو في عدم الرتبة، فقدّم وأخر في السورتين ليحرز المجموع أنّ المراد بهذا القول ان يكون في حال السجود لا قبله ولا بعده... وأنّ المراد: ادخلوا الباب سجّدًا قائلين في سجودكم حطّة⁵ » .

وما ذكره العلماء - رحمهم الله - من توجيهات لهذا الموضوع وإن كان مقبولاً من جهة إلّا أنّه غير كاف لإقناع الباحث في كتاب الله فهو أقرب إلى التوجيه العام من التحليل الموضوعي الدقيق.

1 - ينظر: البحر المحيط: 468/4 .

2 - ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، 3 / 283 .

3 - البحر المحيط، أبو حيان، 4 / 407 .

4 - البرهان في توجيهه متشابه القرآن، الكرمانى، ص: 73

5 - ملاك التأويل، ابن الزبير، 37/1 .

ويرى الباحث أن توجيه الدكتور المطعني هو الأقرب إلى الصواب، يقول في توجيهه: «المعروف أن السجود قد يكون شكرا على النعم، والاستغفار طلبا للعتق من الذنوب، والقوم في الموضوعين مُنعم عليهم ومخطئون، فتقدم السجود في البقرة على الاستغفار تغليب لجانب الشكر على جانب الاستغفار، وهذا التغليب مبعثه أمران، الأول: أن الله حثهم صراحة على الشكر في معرض الحديث، الثاني: أن نعمة الله عليهم في البقرة أظهر وأكمل منها في الأعراف، وذلك لاشتمال الحديث في البقرة على بعثهم بعد الموت بالصاعقة، وهذه نعمة جليلة، كما وصف الأكل بالرغد (فكلوا منها حيث شئتم رغدا)، وقد فسر الرغد بالسعة، ولم يأت هذا الوصف في الأعراف»¹.

الموضع الرابع: الفصل والوصل:

ففي البقرة: (وَسَنزِيدُ) وفي الأعراف: (سَنزِيدُ):

ذهب الكرمانى إلى أن سبب ذكر الواو في قوله: (وَسَنزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) هو أنّ الاتصال بين الجملتين أشد وأقوى؛ حيث أسند فيه الفعل إلى الله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ) فعطف جملة: (وَسَنزِيدُ) على جملة ادخلوا؛ أي: وقلنا: سنزيد .

أما آية الأعراف: (سَنزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) فجاءت مستأنفة. إذ بين الجملتين في البقرة علاقة حسنت الوصل، ولما كان بين الجملتين في الأعراف اختلاف حذفت الواو وحملت الجملة على الاستئناف².

وعلل الرازي ذكر الواو في آية البقرة، وحذفها في آية الأعراف: بأنّ آية الأعراف جاء فيها ذكر أمرين: « أحدهما: الحطّة وهو إشارة إلى التوبة. وثانيهما: دخول الباب سجّداً وهو إشارة إلى العبادة، ثمّ ذكر جزاءين: أحدهما قوله تعالى: (نَعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) وهو واقع في مقابلة قول الحطّة، والآخر قوله: (سَنزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) وهو واقع في مقابلة دخول الباب سجّداً، فترك الواو يفيد توزيع الجزاءين

¹ - خصائص التعبير القرآني، وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، - القاهرة، (ط1) : 1413هـ / 1992م ، 1 / 151 .

² - ينظر: البرهان في متشابه القرآن، الكرمانى، ص: 73 .

على كل واحد من الشرطين. وأمّا في سورة البقرة فيفيد كون مجموع المغفرة والزيادة جزء واحد لمجموع الفعلين أعني دخول الباب وقول الحطّة «¹ ، وهو رأي الزمخشري² ، وأبي السعود³ .

وعلى الرغم مما في كلام الرازي - رحمه الله - من تعليل واضح لسر الفصل والوصل في الموضعين إلا أنه لا يظهر منه سر اختصاص كل موضع بما جاء عليه.

وقد نقل القمّي النيسابوري رأي الرازي وزاد عنه بأن قال: « وأيضاً الاتصال اللفظي حاصل في هذه السورة بين قوله: (وَإِذْ قُلْنَا) وبين قوله: (وَسَنَزِيدُ) بخلاف الأعراف؛ لأنّ اللائق به في الظاهر سيزاد، فحذفت الواو ليكون استئنافاً للكلام⁴ .

ولأبي حيان تعليل آخر للاختلاف بين الموضعين مفاده أنّ علّة دخول الواو في آية البقرة كون السورة مبنية على الإسهاب والتفصيل، وأنّ علّة ترك الواو في آية الأعراف كون السورة مبنية على الاختصار والإجمال، وهذا نص كلامه: « وسنزيد: هنا بالواو، وفي الأعراف: سنزيد، والتي في الأعراف مختصرة. ألا ترى إلى سقوط رغدا؟ والواو من: (سَنَزِيدُ)، وقوله: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ) ، بدل: (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا)، وإثبات ذلك هنا. وناسب الإسهاب هنا ولاختصار هناك⁵ .

وما ذكره أبو حيان علة عامّة ؛ يصلح أن يعلّل بها أيّ اختلاف بين موضعين في القرآن الكريم، ونحن إنّما نبحت عن العلل الخاصّة وراء اختلاف صورة النظم في الآيات المتشابهة، ثمّ إنّّه قال: " إنّ سورة البقرة بنيت على الإسهاب والأعراف بنيت على الاختصار"، ونحن أثبتنا عكس ذلك في المواضع المتقدمة، ورأينا أنّ التفصيل والإسهاب من اختصاص سورة الأعراف لأنّها فصّلت في أحوال بني إسرائيل وعصيانهم وسياق السورة يشهد بذلك، وأمّا الإجمال فإنّه من اختصاص سورة البقرة وقد قال بهذا غير واحد .

¹ - التفسير الكبير، الفخر الرازي، 3/ 99 .

² - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 2/ 523 .

³ - ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، 3/ 283 .

⁴ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان، القمي النيسابوري، 1/ 296 .

⁵ - البحر المحيط، أبو حيان، 1/ 386 .

لكن ربّما قصد أبو حيان بالإسهاب والتفصيل هنا من حيث ذكر النعم عليهم، إذ أنّ سورة البقرة كما رأينا في المواضع السابقة تعدد النعم الكثيرة على بني إسرائيل، بخلاف سورة الأعراف فلم تظهر وهذا ما ذهب إليه ابن الزبير الغرناطي الذي رأى بأن سر مجيء الواو في آية البقرة هو أن هذه الواو عطفت نعمة جديدة على مجموعة من النعم والآلاء المذكورة قبلها في السورة بدءا من قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾¹ ، فقوله: (وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) نعمة جديدة مضافة إلى جملة النعم قبلها. ولما لم يكن في الأعراف تعداد للنعم قبلها لم يعطفها على ما سبق².

وعليه فإن ذكر الواو في الخطاب المدني جاء موافقا لسياق تعداد النعم فيها والامتنان على المخاطبين بمزيد من النعم والآلاء للمحسنين، وهذا مما يستوجب عليهم الإيمان بالله والدخول في الدين الإسلامي ومتابعة أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد أصاب ابن الزبير المحز في توجيهه لاختصاص البقرة بالواو لأنها دلت على زيادة النعم، إلا أنه لم يوجه آية الأعراف بل غاية ما ذهب إليه أنها خالفت موضع البقرة، وهذا لا يكفي فلا بد من بيان مناسبة الوارد في الأعراف لسياقها؛ وذلك أن ترك العطف في آية الأعراف المكية يجعل جملة: (سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) مستأنفة كما سبق، ويكون تقدير الكلام وماذا بعد الغفران؟ فقليل له: سنزيد المحسنين³، وعلى هذا فإنّ الموعد به في الأعراف أمران: وهو المغفرة والزيادة للمحسنين كما في البقرة، لكن بناء هذه الجملة في الأعراف على الاستئناف لا يشعر بالاهتمام والإنعام الذي يشعره العطف الحاصل في البقرة، بل غاية ما في الأعراف هو ذكر الخبر عن بني إسرائيل في حصول زيادة الثواب لمن حقق الإحسان دون إظهار العناية بهم لكفرهم وعصيانهم .

¹ - سورة البقرة، الآية: 40 .

² - ملاك التأويل، 1/199 .

³ - ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 9/146 .

وبعد دراستي لما تيسر لي من مواضع التشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام والتي اعتمدت فيها على التوجيه وفق السياق الحالي وذلك بربطها بالظروف والأحوال التي صاحبت نزولها بدالي أن كل صور الاختلاف والتشابه جاءت موافقة للسياق الذي وردت فيه وأوفت بالمعنى والغاية التي سبقت القصة لأجلها، ففي سورة البقرة قد جاءت لغرض الهداية والإرشاد، وفي الأعراف جاءت للزجر والتهديد والتحذير من العصيان، وهو ما يؤيد الكلام الذي برر به العلماء تكرار القصص في القرآن الكريم ويدحض حجة المعترضين والملحدّين في كتاب الله عز وجل.

الخاتمة

ما يجدر ذكره كخاتمة لهذا البحث، أنّ التشابه اللفظي في الآيات القرآنية المبينة لقصة موسى عليه السلام مع قومه بني إسرائيل له تأويلات وتفسيرات حاول أهل القرآن تعليل ذلك والكشف عن أسراره وربطها بالمعاني والسياقات التي تحقق الغرض الديني الذي سيقت له ونزلت بسببه، وهذا دليل من دلائل الإعجاز؛ إذ اختلاف الآيات له حكم ترتبط ببيان التشريع وتستنبط من كل موضع بحسب غرضه.

التكرار في قصة موسى بين سورة البقرة والأعراف هو نموذج من نماذج التشابه في كل سور وآيات القرآن الكريم؛ وهذا ما يدعو للتأمل والتدبر في هذا الذكر الحكيم واستخراج الفوائد منه لدارس العلوم الشرعية ودارس العلوم اللغوية فلا غنى لهما عن هذا المبحث الجليل اللطيف من مجموع مباحث علوم القرآن.

التكرار القصصي المدروس في هذا الجهد البحثي أبان عن تجليات نحوية وصرفية والصرفية أكثر وروداً إذ هي تختص بالكلمة المفردة والمعلوم أن التشابه وقع في الكلمات أكثر مما وقع في التراكيب القرآنية، ومن نماذج التشابه الصرفي تغيير صيغ الأفعال وأحوال الأسماء ومن نماذج التشابه النحوي في التراكيب تغيير حروف المعاني كروابط العطف والاستئناف والتقديم والتأخير في تراكيب التشابه وكذلك مواضع الفصل والوصل وجوبا ومنعا واستحبابا.

وبعد البحث والدراية والاطلاع، يرى الباحث أن الموضوع شيق ومفيد ومن صميم الدراسة اللغوية التي تستدعي وتتطلب جهود وبحوث أكثر وأعمق خاصة أن مع ندرة الباحثين فيه سواء من أهل التفسير أو أهل النحو، وربما يستدعي أن تجتمع الجهود والدراسات في جهود في مصب واحد عسى أن يصلوا إلى الحكم والغايات فتفيد طالب العلم في كلا التخصصين والله الموفق لكل خير.

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم.

أولاً: المصادر والمراجع

1. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (دط) ، 3941 هـ / 1974 م.
2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، (دط).
3. أساس البلاغة، الزمخشري، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية- بيروت ، (ط1) 1419 هـ / 1998 م.
4. أسباب النزول المسمى: لباب النقول في أسباب النزول ، جلال الدين السيوطي ، مؤسسة الكتب الثقافية، (ط1): 1422 هـ/2002 م.
5. أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص دراسة مقارنة بين أصول التفسير وأصول الفقه، د. عماد الدين محمد الرشيد، دار الشهاب، (ط1) : 1420 هـ / 1999 م .
6. أسباب النزول، الواحدي، تحقيق ودراسة: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، (ط1): 1411 هـ / 1991 م .
7. أسس بناء القصة من القرآن الكريم، محمد عبده دبور، (دكتوراه) بإشراف: فتحي محمد أبو عيسى، جامعة الأزهر، كلية الآداب والنقد، 1474 هـ / 1996 م .
8. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، تح: السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر، (دط)، (دتا).
9. إعجاز القرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، (ط1): 1974.
10. الإعجاز القصصي في القرآن، علي مطاوع، دار الآفاق العربية، (ط1): 2006.
11. الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للنشر والتوزيع.

12. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، (ط15): 2002.
13. البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، تح: عبد الله العاني، (ط2) 1413هـ/ 1992م .
14. البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة التراث، القاهرة، (دط)، (دتا).
15. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، (ط1): 1384هـ/ 1964.
16. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ط)، (د.ت) .
17. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة ، تح : أحمد صقر، مكتبة التراث، القاهرة، 1393هـ/ 1973
18. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن الإصبع العدواني، تح: محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي الجمهورية العربية المتحدة، (دط)، (دت).
19. التحرير والتنوير، ابن عاشور، (د.تح)، الدار التونسية للنشر والتوزيع، (د.ط)
20. التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب ، (د.تح)، دار الشروق، القاهرة، (ط16): 1423هـ/ 2002م .
21. التصوير الفني في القصص القرآني، سيد قطب ، دار الشروق - القاهرة ، (ط1): 1408هـ/ 1988م.
22. التعبير الفني في القرآن، بكري الشيخ أمين، دار الشروق، القاهرة، (ط4)، 1980.
23. التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، دار عمار - عمان، (ط4): 1427هـ/ 2006م.
24. التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، دار المعارف ، (ط7)، (دتا).
25. تفسير الشعراوي(الخواطر)، محمد متولي الشعراوي، مطابع: أخبار الدار (دط)، 1997.

26. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الفخر الرازي، (د.تح)، دار الفكر، (ط1): 1401هـ/ 1981م.
27. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الله بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط1) : 1423هـ/ 2002م.
28. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، ابن الأثير، تح: مصطفى جواد، المجمع العلمي، (دط)، (دت).
29. خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، (ط7) ، (دتا).
30. خصائص التعبير القرآني، وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، - القاهرة، (ط1): 1413هـ/ 1992م.
31. الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (دط) (دت).
32. دراسات في علوم القرآن ، د.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة فهد الوطنية - الرياض، (ط14) : 1426هـ/ 2005م.
33. درة التنزيل وغرة التأويل ، الخطيب الاسكافي، تح: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (ط1) 1418هـ.
34. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (ط5): 2004.
35. الدوافع النفسية، مصطفى فهمي، مكتبة الأسرة، (ط1)، (دتا).
36. روح المعاني، الألوسي، (د.تح)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان.
37. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي، (ط1): 1404هـ/ 1984م.

38. شرح الكوكب المنير، أبو البقاء، تح: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان (ط2) 1418هـ / 1997م.
39. العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الشنقيطي، تح: خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم (دط)، (دتا).
40. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، الشيخ أحمد بن يوسف عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (ط1): 1417هـ / 1996م.
41. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، القمي النيسابوري، تح: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1): 1996م.
42. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لأبي يحيى زكريا الأنصاري، دار القرآن الكريم- بيروت لبنان، 1403هـ / 1903م.
43. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن ابن مهران العسكري، تح: محمد إبراهيم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، (دت).
44. الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، سينا للنشر- القاهرة، (ط4) (دت).
45. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، محمد ابن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تح: جماعة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ / 1988م.
46. في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب مركز الإعلام العربي، الجزيرة، (ط4): 1432هـ .
47. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار الطبع مؤسسة الرسالة، (ط8): 1426هـ / 2005م.
48. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (ط2): 1395هـ / 1975م.

49. قطف الأزهار في كشف الأسرار، جلال الدين السيوطي، تح: أحمد بن محمد الحمادي، إدارة الشؤون الإسلامية - الدوحة، (ط1): 1414هـ / 1994م.
50. كتاب القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر، د. عباس حسن تقديم الشيخ: عطية صقر.
51. الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، جار الله الزمخشري، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ: علي محمد معوض، مكتبة العبيكان،(ط1): 1417هـ / 1998م.
52. كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين ابن جماعة، تح: عبد الجواد خلف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1403هـ / 1983م.
53. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبي البقاء الحنفي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان (دط)، (دت).
54. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبي البقاء الحنفي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان (دط)، (دت).
55. لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1): 1415هـ .
56. لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، (دط)، (دت).
57. مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار الملايين - بيروت، (ط10)، 1977م.
58. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، الدار السعودية للنشر، (ط7)، (دتا).
59. متشابه القرآن العظيم، لأبي الحسن أحمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي داوود المنادي، تح: عبد الله الغنيمان، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، 1414هـ / 1999م.
60. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، (دط)، 1420.
61. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبي الفتح ابن جني، تح: علي النجدي ناصف وآخرون، القاهرة، (دط) 1414هـ / 1994م.

62. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بن عطية، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (ط1): 1422هـ / 2001.
63. مختار الصحاح، محمد ابن أبي بكر الرازي، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت - لبنان، (ط1): 1415هـ .
64. المستصفي من علم الأصول، للإمام الغزالي، تح وتعليق: د. محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة - بيروت ،(ط1): 1417هـ / 1997م .
65. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس، المكتبة العلمية - بيروت، (دط)، (دت) .
66. معترك الأقران في إعجاز القرآن ، السيوطي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية (ط1): 1408هـ / 1988م.
67. المعجزات الأحمدية لبديع الزمان الشيخ سعيد النورسي، (دط) (دتا).
68. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، (ط1): 1993م.
69. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب، (ط1): 1429هـ / 2008م.
70. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: محمد سيّد كيلاي، (دط)، (دتا).
71. مقاييس اللغة، ابن فارس ، تح: عبد السلام هارون ،دار الفكر، دط ، 1399هـ / 1979م.
72. المكي والمدني في القرآن الكريم، عبد الرزاق حسّين أحمد، دار ابن عفان - القاهرة ،، (ط1): 1420هـ / 1999م.
73. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، ابن الزبير الغرناطي، تح: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي(ط1) 1403هـ/1903.

74. من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمد سعيد البوطي، مؤسسة الرسالة (ط3): 1420 هـ / 1999م.
75. من علوم القرآن وتحليل نصوصه د. عبد القادر حسين، دار قطرى بن الفجاءة للنشر والتوزيع - الدوحة، (دط)، (دتا).
76. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تح: فؤاد أحمد زمّري، دار الكتاب العربي، (دط)، (دتا).
77. منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، لعبد الرحمن داود عبد الله، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2010م.
78. نتائج الفكر في النحو، السهيلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان (ط1) 1412هـ / 1992م.
79. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، (دط)، 1404هـ / 1984م.
80. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل ابن أبيك الصفدي، دار إحياء التراث العربي، (دط)، 2000م.

ثانيا: الرسائل الجامعية:

1. أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام، عبد الإله حوري الحوري، (ماجستير: جامعة القاهرة)، (ط1): 1422هـ / 2001م.
2. أسباب النزول أسانيد وأثرها في التفسير، الشيخ بن جمعة سهل، (دكتوراه)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، الموسم الجامعي: 1403هـ / 1982م.
3. دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى، دراسة نظرية تطبيقية، فهد شتوي بن عبد المعين الشتوي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، (ماجستير) 1426هـ - 2005م.

4. دلالة السياق، رده الطلحي بن رده بن ضيف الله الطلحي، مكتبة فهد الوطنية، (دكتوراه). جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (ط1): 1424.
5. السياق القرآني، وأثره في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، ماجستير، جامعة أم القرى، (1429هـ / 2007م).
6. سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نفرة، الشركة التونسية للتوزيع، (دكتوراه)، جامعة الجزائر، 1971.
7. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، بين القدامى والمحدثين أحمد الغرناطي وفاضل صالح السامرائي، دراسة مقارنة، محمد رجائي أحمد الجبالي، جامعة ملايا كوالالمبور (دكتوراه) موسم: 2012.

ثالثا: المجالات والدوريات:

1. الترجيح بين دلالة السياق وأسباب النزول، د. محمد أبو زيد، مجلة جامعة دمشق، المجلد: 28، العدد 3+4، 2012، دمشق، سورية بعة منصور، العدد الرابع مارس 2012م.
2. نسيج التكرار بين الجمالية والوظيفة في شعر الشهداء الجزائريين ديوان الشهيد بوشامة نموذجاً، صاحب المقال: د. عبد اللطيف حني، مجلة علم اللغة العربية وآدابها، منشورات جامعة الوادي.

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
	إهداء
	ملخص
أ - هـ	مقدمة
مدخل: أسباب النزول: المفهوم والقيمة	
6	تمهيد:.....
7	تعريف أسباب النزول
7	- لغة.....
9	- اصطلاحا.....
13	فوائد علم أسباب النزول.....
19	علاقة السياق بأسباب النزول.....
الفصل الأول : التكرار القصصي مفهومه و صورته وكتبه وعلاقته بالسياق الزماني	
24	تمهيد
25	أولاً: التكرار القصصي.....
26	1- مفهوم التكرار.....
26	أ - لغة.....
27	أ - اصطلاحا.....
30	2- مفهوم القصة القرآنية.....
30	أ - لغة.....
31	ب: اصطلاحا:.....
33	مفهوم التكرار القصصي:.....

36	ثانيا: آراء العلماء فيه
36	* ابن قتيبة.....
37	* الزركشي.....
38	* الشيخ عطية صقر
39	*مناع القطان.....
40	*محمد سعيد البوطي.....
40	*محمد الطاهر بن عاشور.....
42	* سيد قطب.....
42	*الشيخ محمد متولي الشعراوي.....
44	*سعيد النورسي
45	محمد خلف الله
48	ثالثا: صور التكرار القصصي وكتبه
49	1- صور التكرار القصصي
60	رابعا: دراسته في كتب المتشابه اللفظي
62	1-درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله.....
65	2- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان.....
68	3-ملاك التأويل القاطع بدوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل.....
71	4- كشف المعاني في المتشابه من المثاني.....
73	5- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن.....
76	خامسا: علاقة التكرار القصصي بالسياق الزماني.....

<p>الفصل الثاني : صور التكرار والاختلاف وتفسيرها في سورتي:</p> <p>البقرة والأعراف</p>	
81	تمهيد
82	ملخص القصة في السورتين.....
85	-المقطع الأول.....
86	الموضع الأول: اختلاف الصيغة الصرفية.....
91	الموضع الثاني: الإبدال.....
93	الموضع الثالث: الحذف والذكر.....
94	الموضع الرابع: الإجمال والتفصيل.....
97	✓ المقطع الثاني:.....
99	الموضع الأول: اختلاف الصيغة الصرفية.....
99	1- البناء للفاعل والبناء لما لم يسم فاعله:.....
103	2- جمع السلامة وجمع التكسير:.....
107	الموضع الثاني: الإبدال:.....
108	3- إبدال كلمه بكلمة:.....
116	4- إبدال حرف بحرف.....
117	الموضع الثالث: التقديم والتأخير.....
119	الموضع الرابع: الفصل والوصل.....
124	الخاتمة.....
126	قائمة المصادر والمراجع.....
135	فهرس الموضوعات.....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ